الفصل الأول
اللسانيات الوصفية عند العرب المحدثين

المبحث الأول : اللسانيات الوصفية في العالم العرب
المبحث الثاني : تجارب بعض رواد اللسانيات الوصفية العرب في إعادة وصف اللغة العربية

المبحث الأول:
اللسانيات الوصفية في العالم العربي

1- واقع اللسانيات في العالم العربي:

تعرفنا في الفقرات السابقة على أهم المدارس اللسانية الغربية القائمة على مبادئ دي سوسير الوصفية،التي كان لها أثر بالغ على توجه الدراسات اللغوية في العالم عامة، وعلى الدراسات اللغوية العربية خاصة، فقد حاولت هذه الأخيرة متابعة التحولات والتطورات التي شهدتها الساحة اللغوية الغربية، وتبعا لذلك ظهرت حركة تجديدية في العالم العربي،تحاول « استئناف النظر في أعمال القدامى وبلوغ حقيقة المادة اللغوية على ضوء مناهج الدرس اللغوي الحديث في أوربا وأمريكا »[1] فكانت هذه القفزة عبارة عن محاورة الذات مع الآخر، محاورة التراث مع الحداثة من أجل إضفاء صفة الشرعية والعملية على الدرس اللغوي العربي.

ولفهم هذه الحركات التجديدية التي أحدثها احتكاك العرب بالغرب لا بد من التنقيب على تاريخ بدايات اتصال العرب بالغرب الذي يصعب تحديديه وفهم حقيقة هذا الارتباط والتأثر نظرا للظروف والتشعبات الحاصلة في التفكير اللغوي العربي.

ولعله من الصعب تحديد البدايات الأولى لانتقال الفكر اللساني الغربي الحديث إلى ميدان التفكير اللغوي العربي، ولكن الذي لا شك فيه أن البدايات الأولى ترجع إلى بداية «الاتصال الفعلي بالحضارة الغربية في العصر الحديث وفي مصر تحديدا، إذ برز التأثر بهذا الفكر في كتابات رفاعة الطهطاوي الذي دعا إلى إنشاء مجامع للغة العربية على غرار المجمع العلمي الفرنسي»[2] . فمن خلال هذا الجهد تظهر معالم التقليد عند **رفاعة الطهطاوي**، الذي مثل جيل العائدين من الجامعات الغربية، المحملين بأفكار أجنبية.

والجدير بالذكر أن غاية الرجل لم تكن غاية لغوية ، إنما كانت غايته الحضارة والأخذ بأسباب التمدن والعمران، حيث شكل بكتبه اللغوية التيسيرية تيارا يمكن أن نسمي أصحابه بالمدرسة التيسيرية، والتي بدأها **الطهطاوي**، وأحسن تمثيلها **إبراهيم مصطفى** صاحب كتاب "إحياء النحو"، الذي كاد صاحبه أن يكون مدرسة لكثرة ما تحدث عنه، حيث أنه ركّز في متن هذا الكتاب على الإعراب، ولم يكن بآرائه مناقضا للنظرية العربية بل كان جزءًا منها،

---

(1) عبد المقصود محمد عبد المقصود، دراسة البنية الصرفية في ضوء اللسانيات الوصفية. ط:1. بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2006، ص 55.

(2) حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنوي، ص199، نقلا عن: فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص 12.

فحاول تجديدها وإحياء قواعدها فاعتبر رأس المدرسة الجديدة من خلال ما دعا إليه[1]، ودعوته واضحة في تصريحه التالي: « أطمع أن أغيّر منهج البحث النحوي للغة العربية وان أرفع عن المتعلمين إصر هذا النحو، وأبدلهم منه أصولا سهلة يسيرة، تقربهم من العربية وتهديهم إلى حظ من الفقه بأساليبها(...) اتصلت بدراسة النحو في كل معاهده التي يدرّس فيها بمصر، وكان اتصالا وثيقا، ورأيت عارضة واحدة لا يكاد يختص بها معهد دون معهد، ولا تمتاز بها دراسة عن دراسة، وهي التبرم بالنحو، والضجر بقواعده على أن ذلك من وراء النحو قديما(...) ولقد بذل في تقويم النحو جهود مجيدة، واصطنعت أصول التعليم، اصطناعا بارعًا ،(...) ألا يمكن أن تكون تلك الصعوبة من ناحية وضع النحو وتدوين قواعده، وان يكون الدواء في تبديل منهج البحث النحوي للغة العربية »[2]،فإبراهيم مصطفى استشعر هروب التلاميذ من النحو العربي نظرا للصعوبات التي يواجهونها في تدريسه وتعليمه رغم الجهود الكبيرة التي بذلت في سبيل تيسيره.

ومن خلال هذه الصعوبات التي أبعدت العربي عن لغته ونحوها، أراد **إبراهيم مصطفى** تغيير منهجها، علّه يقرّب بين العربية وأهلها. وبمجهوده هذا بدأت حملة التجديد في النحو العربي، فكانت أفكاره من جملة إفرازات العصر الحديث، التي تسعى إلى تبسيط الأمور على الدارس العربي ،الذي تشغله أمور عديدة في ظل صعوبة العالم وتشابكه. فإبراهيم مصطفى لم يخفِ نواياه في خروجه من عباءة التراث، بل أراد تحطيم الحاجز المنيع بين العربي ولغته.

ومن ضمن سلسلة الباحثين العرب الذين ربطوا بين الحضارة العربية والغربية لا يمكن أن ننسى جهود جرجي زيدان، الذي حاول وصل دارسي العربية بالدراسة اللغوية الحديثة؛ إذ « نشر في فترة مبكرة كتابين في اللغة: إحداهما الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية كائن حي، وقد حاول في هذين أن يعرض شيئا مما كان متداولا بين علماء اللغة الغربيين عن طبيعة و وظيفتها و طرق تحليلها (...)معتمدا في ذلك على ما كتبه المستشرقون وبخاصة الألمان »[3] ،خاصة أن هؤلاء قد نشطوا في تلك الحقبة في مجال إعادة قراءة قواعد اللغة،

---

(1) ينظر: محمد صلاح الدين شريف، أثر الألسنة في تجديد النظر اللغوي، أشغال ندوة اللسانيات واللغة العربية، تونس: مركز الدراسات و الأبحاث الاقتصادية و الاجتماعية، العدد4، 1978، ص 47.

(2) إبراهيم مصطفى، إحياء النحو. ط:بلا. القاهرة: دار الآفاق، 2003، المقدمة، أ. ب، ج.

(3) عبد المقصود محمد عبد المقصود، دراسة البنية في ضوء اللسانيات، ص 15.

وساهموا في تسييرها وحاولوا إدخال « نمط التفكير الفيلولوجي إلى البلاد العربية، وشكلت بحوثهم إطارا مرجعيا لجملة من البحوث والدراسات اللغوية العربية »[1]خاصة تلك التي اتجهت بالنقد إلى نظرية النحو العربي مثلما هو الحال عند **إبراهيم مصطفى** ،الذي استقصى منهجهم في نقد النحو العربي في حملته التجديدية لنظرية الإعراب، فتجده يقول: « يجب أن نعرض لرأي في أصول الإعراب رآه المستشرقون واستعانوا فيه بدرسهم علم اللغات ومقارنتها»[2].

فهذه الثلة من الباحثين اعتمدوا على المنهج المقارن في الكشف على جذور ظاهرة الإعراب وأصل اللغات، وذكر إبراهيم مصطفى لهم التفاتة مهمة من الرجل لجهودهم في مسيرة النظر في اللغة وقواعدها، خاصة في تاريخ اللغة العربية ونقدها.

لولا ضيق المجال لاتسع الحديث إلى باحثين كثر أسهموا في إعادة النظر في قواعد اللغة العربية: أمثال **مهدي مخزومي،** تلميذ إبراهيم مصطفى، الذي استطاع بأعماله أن يكون أكثر دلالة من عمل أستاذه [3]. وكذا أعمال **سلامة موسى، ومحمد كامل حسن،**... وغيرهم الذين مثلوا فئة من المجدّدين التي كان لها أثرها في الثقافة عامة[4] ومثلوا ظاهرة تستحق الدراسة و التنويه ؛لأن كل واحد من هؤلاء قدم نظرة جادة للغة العربية بمنظار منهجي جديد.[6]

ولم تسلم هذه الفئة من النقد كغيرها من الدراسات الحديثة التي تبدو أفكارها غريبة عن ما يعرفه أهل اللغة؛حيث يرى بعض الباحثين أنها قد أخفقت في نقد التراث، فأوجدت هذه الفئة ردود فعل متعددة ، يمكن أن نجملها في صنفين بارزين: صنف محافظ بعيد عن النظر اللساني، وصنف يسعى إلى البحث عن أصول ألسنية مباشرة صريحة يقيمون عليها نقدهم للتراث النحوي فتوجه هؤلاء وجهتين: وجهة ألسنية تاريخية، ووجهة ألسنية وصفية[5]، فاتبعوا تاريخ الدرس اللغوي العربي وحاولوا تطبيق المناهج الغربية على قواعده.

---

(1) فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص 15.
(2) إحياء النحو العربي، ص42.
(3) محمد صلاح الدين شريف، أثر الألسنة في تحديد النظر اللغوي، ص 47.
(4) ينظر: المرجع نفسه، ص50.
(6) ينظر : عطا محمد موسى ، مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين ، ص12،13.
(5) ينظر: محمد صلاح الدين شريف، أثر الألسنة في تجديد النظر اللغوي، ص 50.

واعتبرت مسيرة التسيير التي انتهجها هؤلاء اللغويون، مرحلة بداية لإعادة قراءة التراث الغوي، متأثرين في ذلك بالمناهج الغربية، فقد نادى بعضهم بتقريب النحو إلى أفهام الدارسين، ومن أبرز هؤلاء: **عبد الرحمان أيوب** في كتابه " دراسات نقدية في النحو العربي " ؛ الذي أقام أنظاره على أساس مدرسة التحليل الشكلي الغربية التي كان رائدها بلوميفيد، واللغوي **"تمام حسان"** في كتابه **" اللغة العربية معناها ومبناها"** الذي أقامه وفقا لنظرية السياق لفيرث، حيث سنعمق الحديث عن هذا اللغوي وكتابه في الفصول الآتية، وآخرون قد مثلوا تيارا بارزا في إعادة قراءة التراث وفقا للتوجه اللساني الغربي[1] ، وهذا ليس بغريب على ثلة عادت من الجامعات الغربية، محملة بأفكار أساتذتها الأجانب، الذين يحملون رغبة شديدة في تطبيق المناهج الغربية على اللغة العربية.

فمثل هؤلاء مرحلة جديدة في تاريخ اللغة العربية، بنقلهم للثقافة الغربية إلى البلاد العربية، وبهم بدأ الاحتكاك الجدّي بين الحضارتين، وبهم بدأت ظاهرة الكتل اللغوية، ومن طريقهم دخلت اللسانيات كوافد جديد، أفرز شعورا من الخوف والرهبة من هذا الوافد الجديد، الشيء الذي يجعل من الفرد يتساءل عن كيفية استقبال العرب لهذا الوافد ، وعن كيفية تقبله في ظل التراث اللغوي الضخم، خاصة أن حامليه حاولوا إيجاد نحو جديد بديلا للنحو اللغوي التراثي.

2-اللسانيات في الثقافة العربية:

يعتبر القرن التاسع عشر منعطفا حاسما في تكوين الفكر العربي الحديث بانفتاحه على الحضارة الغربية، إذ أحدث وعيا في التفكير العربي يدعو إلى ضرورة تغيير الأوضاع اللغوية ومواكبة التطور الحاصل في الغرب،فوضع هذا التحول العرب أمام« أنموذجين حضاريين هما: أنموذج الحضارة الغربية،الذي استوعب بنفوذه كل مظاهر العصر، وأنموذج عربي إسلامي شكّل ولا يزال، تعبيرا عن الذات وتراثا يحفظ الهوية »[2]، فشكل هذين الأنموذجين قطبين متنافرين، قطب معاد لكل وافد عربي، يطعن في كل المحاولات التي تسعى إلى إعادة قراءة التراث وفق مناهج غربية، معتبرين ذلك تهديم للبناء اللغوي

(1) ينظر: عطا محمد موسى، مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين، ص 11- 12.
(2) فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللغوي العربي الحديث، ص 14.

المقدس الذي اجتهد في بنائه الكثير من شيوخ اللغة العربية ابتداء من شيخ العربية الخليل، وساهم في تقديسه الأجيال من بعده.

وقطب منفتح عن الحضارة الغربية، آخذ بكل جديد ،متأثر باللسانيات الغربية و بمعطياتها المنهجية ، بالإضافة إلى أنه متمسك بالموروث اللغوي العربي؛ حيث يسعى إلى إيجاد باحث متمكن من البحث اللساني المعاصر، ملمّا بالتراث، فأصبحت محاولاتهم في إعادة قراءة التراث تأسيسا للمستقبل على أصول الماضي، محاولين إبراز نصيب حضارتهم في إثراء الفكر اللغوي الحديث[1] .

وفي ظل هذا الصراع بين القطبين اتجهت اللسانيات « إلى ما يمكن تسميته لسانيات توفيقية تتبنى أنموذجًا وصفيا يمزج المقولات النظرية الغربية الحديثة بمقولات نظرية النحو العربي(...) فلم يستطيعوا أن ينتجوا درسا لسانيا منبتا عن أصله التراثي، يعلن القطيعة التامة مع التراث النحوي القديم»[2] ، فرغم أن جهودهم اللغوية تحاول إيجاد نحو جديد من خلال محاولاتهم التيسيرية، إلاّ أن هذه الجهود لم تستطع الاستغناء عن التراث رغم تصريحاتهم بعدم ملاءمة هذا التراث للجيل الجديد ، وهذا راجع إلى إحترام اللغوي العربي لنحو سيبويه، فمحرّم عليه تغيير قواعد اللغة العربية، رغم محاولاتهم الحثيثة في إعادة وصف قواعدها ونقد تعقيداتها، وهذا ما جعل العربي بين سندان الأصالة ومطرقة المعاصرة،يتقلب بين تقديسه للقواعد اللغوية التراثية و بين رغبته في تغييرها بما يناسب أحواله و عصره، وعن هذا الوضع يقول تمام حسّان: «وتشعبت المسالك أمام الشعب بعد أن تثاءب وتمطى ونفض عن نفسه غبار الموت، فوجد أمامه طريقا في الماضي يقوده إلى التراث العربي الخصب ، ورأى أنه لو بعث هذا التراث وأحياه لكان دافعا لعزة جديدة لا تقل روعة عن التأريخ العربي نفسه، ووجد أمامه طريقا في المستقبل معامله ما في أيدي الأمم من علوم ومعارف(...) ثم رأى أنه لو سلك الطريق الأول فحسب لانقطع به التاريخ عن الحياة، ولو سلك الثاني فحسب لانقطعت به الحياة عن التأخير، ففضل أن يأخذ بنصيب من التراث العربي يوحي إليه بالاعتزاز، ونصيب من الثقافة المعاصرة يمنحه العزة

---

(1) ينظر: بوعمامة محمد، التراث اللغوي بين سندان الأصالة ومطرقة المعاصرة، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر،بسكرة، العدد 2 و 3، 2008، ص 209.

(2) فاطمة الهاشمي بكوش، نفس المرجع، ص 15.

»[1].وكأن بهذا الحديث يبرر لنفسه ما جاء به في درسه للغة العربية، وفي محاولته الوصفية ، لما أراد تغيير بعض الأسس اللغوية التراثية بأسس أخرى جديدة أساسها اللسانيات الوصفية السياقية الفيرثية .

فمن خلال ما تقدم يتبيّن أن العربي مازال يستشعر صعوبة تقديم المناهج اللسانية الحديثة، أمام التراث العربي الهائل، فجعله يعيش بين مد وزجر، الأمر الذي جعله يأخذ بيد من الماضي ، ويد من الحاضر فمزج بين التراث وما جاءت به الحضارة من جديد؛ لكن هذا لم يغير من إحساسه بالخوف من كل شيء غريب، متشعب اختلف في حقيقته وفي أهدافه.

فرغم أن اللسانيات أصبحت تحتل « موقعا مركزيا داخل العلوم الإنسانية، الشيء الذي جعلها تفرض عليها نموذجها التحليلي ومعجمها المفهومي »[2]، ورغم أن موضوعاتها « موضع عدد من أعلام الباحثين في أمم الغرب وقد بذلت في هذا السبيل جهود قيمة مشكورة، بلغ هذا العلم درجة راقية من النضج و الكمال (...) ومن ثم أصبحت مراجع هذا العلم من أكثر مراجع العلوم عددا وأوسعها نطاقا، وأدقها بحثا، وأجلها قيمة » [3] ،إلاّ أن اللسانيين العرب تخوفوا من ردود أفعال مناهضة لنشاطهم اللساني، خاصة ما تعلق بإعادة قراءة التراث وفق منظور اللسانيات الحديثة، فشكل بذلك مقاومة وصراع ضد كل جديد، وربّما يعود السبب مثلما رأى الباحثين من أن اللسانيات تعد « شكل من أشكال الإمبريالية العالمية لأنها تسعى جاهدة إلى تشجيع كل صوت يضرب على وتر الانسلاخ عن اللغة العربية الواحدة والثقافة العربية الأصيلة »[4] وهذا الإحساس راجع إلى ما عاشه العربي خلال فترة الاستعمار، وحالة التغريب التي شهدتها اللغة العربية، وما أفرزته هذه الحالة من مظاهر الضعف والانسلاخ، التي ورثت إحساس الخوف من الضياع في غمرة تمازج الثقافات، فكان على العربي أن يتقوقع في ثقافته محافظا على ما تبقى من تراثه ؛ ولأجل ذلك حاولوا إبعاد اللغة العربية عن مناهج اللسانيات الغربية المتميزة بالتناحر والتناقض حتى لا تفقد هويتها .

---

(1) تمام حسان، مناهج البحث في اللغة.ط: بلا. مصر: دار الثقافة، 1979، ص 04.
(2) حافظ إسماعيل علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة. ط:1. بيروت: دار الكتاب الجديد، 2009، ص 109.
(3) عبد الواحد وافي، علم اللغة، ط:1، مصر: دار النهضة، 2005، المقدمة.
(4) حافظ إسماعيل علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 67.

هذا الرأي يميل إليه **عبد السلام المسدي** عندما ربط بين أهداف الاستشراف وبين الدراسات اللسانية، خاصة دراسة اللهجات؛ حيث يقول: « لا مهرب لنا من الإقرار موضوعيا بأن بعضهم (يقصد المستشرقين) قد عمل على ازدهار علم اللهجات العربية بباعث إمّا سياسي غايته استعمارية، وإمّا عقائدي يهدف إلى تقليص البعد الديني والوزن الروحي الذي للعربية عند أهلها، وإما مذهبي يرمي إلى نقص التركيب الهرمي في المجتمع انطلاقا من دك بنيته الفكرية »[1] ، فيتضح أن هدف الاستشراق جلي وهو تهديم بنية اللغة العربية وإضعافها بدل البحث عن مواطن قوتها، ومواضع سموها، ومن هذه الأهداف تخوف الدارس العربي من هذه المناهج، لذلك تجنب استعمالها في دراسة لغته.

إلى جانب رأي المسدي في توضيح سبب عزوف العربي عن اللسانيات، نجد رأيا آخر يبحث عن سبب آخر لهذا العزوف، متمثلا في رأي **محمود السعران** الذي يرى أن سبب العزوف هذا يعود إلى اعتقاد العربي أنه لم يحن الوقت بعد للإقدام في دراسة هذا العلم، وفي هذا يقول:« أمّا جمهور المشتغلين بالدراسات اللغوية عندنا، يرفض النظر في هذا العلم الجديد، أولا يحاول تفهمه، أو يعجب أن ما في يده من علم قد يجل محله حادث وافد من (البلاد الغربية)، وخيرهم ظنا بهذه الدراسة الجديدة وبالقلة القائمة بها من أبناء العربية يعد علم اللغة أو بعض فروعه، كعلم الأصوات اللغوية (ترفا) علميا لم يؤُن الأوان بعد للانغماس فيه أو التطلع إليه »[2]؛ أي أن الباحثين في تلك الفترة يعتقدون ان اللسانيات ما هو إلا علم حديث سببه مجاراة الموضة لا أكثر، ولا داعي أن نغمس أنفسنا في فروعه، ولكن محمود السعران لم يتوقف عند هذا السبب بل وجد سببا آخرا لرفض الباحثين العرب لهذا العلم الحديث، هو عدم الاطلاع عليه،والجهل بنظرياته،حيث يرى:« أن هذه الدراسة في البلاد الناطقة بالعربية لا تزال غريبة على جمهور المتخصصين في المسائل اللغوية المنقطعين لها المنصرفين إليها، فهم قد يفهمون من دراسة اللغة دراسة النحو والصرف أو الاشتقاق ومعرفة الشوارد النادرة، وحوشي الكلام، وتميز الفصيح من غير الفصيح، ومعرفة معاني الكلمات(...)وليس شيء من هذا.ولا هذا كله يكوّن ما تعارف المحدثون في أوربا وأمريكا وروسيا على تسمية " علم اللغة " »[3]، أي ان الباحثين العرب لم يتحرروا

---

(1) عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، ط:1، تونس: المطبعة العربية، 1986، ص 16.
(2) محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص 22.
(3محمود السعران ، علم اللاغة مقدمة للقارئ العربي، ص 21.

بعد من قيود الدراسة اللغوية التراثية، فمازالوا يسيرون على نمطهاو ينحتون قواعدها التي لم تعد صالحة للغة اليوم ، فلم يقدروا على التأقلم مع قواعد اللسانيات الغربية لعدم فهمهم لها .

وباعتبار اللسانيات علم يدرس الكلام البشري من دون تمييز، تستمد شرعيتها من دراسة اللهجات جعلها في موقف مريب، خاصة عندما وظفه اللغويون العرب توظيفا غير موضوعي، وهذا ما فعله أصحاب الدعوة إلى العامية التي تزعمها **أنيس فريحة**، و**مارون غصن** وغيرهم[1] الذين طعنوا في قواعد اللغة العربية الفصحى بدعوة اللسانيات ومجاراة الحداثة.

ولعل دراسة اللهجات في الجامعات العربية أمر لم يستوعبه الدارسون، وهذا الذي جعل اللسانيات في أزمة، وشكل عقبة أمام المدرّسين، مثل الصعوبة التي واجهت **تمام حسان** عندما تولى تدريس المناهج اللسانية بكلية دار العلوم حيث يقول عن هذه التجربة: « ...وحين كنت أتولى تدريس علم الأصوات اللغوية لطلبة السنة الثانية لكلية دار العلوم بالقاهرة، فيما كذا بين عامي 1953- 1959 كان الاتجاه العام بين أساتذة الكلية في ذلك الحين هو إلى التشكيك في قيمة الدراسات اللغوية الحديثة(...)وكنت أبيّن في تدريس هذا الموضوع ما تتطلبه القصص من إعادة النظر في منهجها وطريقة تناولها، وفي سنة 1959 تحولت عن قسم الدراسات اللغوية بكلية دار العلوم، وهو القسم الذي يعني أساسا بالمناهج الحديثة في دراسة اللغة إلى قسم النحو والصرف والعروض وهو المقابل التقليدي للقسم السابق الذكر، وكان من بين الدهاقين الذين يعيبون هذا الجديد كبار رجال هذا القسم »[2].

ويبدو أن سبب معاناة المدرسين في تدريس المناهج الحديثة هو رسوخ المسلمات اللغوية القديمة الموجودة في كتب التراث، والتي يصعب تغييرها بجديد وافد غريب البيئة لم يفهمه أهل العربية، وخاصة الذين تتلمذوا على يد المدرسة التراثية المحافظة.

لكن رغم هذه الصعوبات التي واجهت اللسانيات بوصفه علما جديدا يحمل مصطلحا غربيا لم يتفق حتى على ترجمته، إلاّ أنها شق طريقه في البلاد العربية، وشكل تيارات لها أساسها في البلاد العربية، يمكن أن نحدد تاريخه« بعودة الموفودين المصريين من

---

(1) ينظر: فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص 19.

(2) تمام حسان، اللغة العربي معناها وبناها، ط:3، القاهرة: عالم الكتب، 1998، ص 87.

الجامعات الأوربية حيث درسوا المناهج اللسانية الحديثة، وبدأوا بنشر بحوثهم اللسانية منذ ذلك التاريخ» [1]، وهكذا شكل الموفودون حلقة وصل بين اللسانيات الغربية واللسانيات العربية، فكانوا همزة وصل بين التراث والمعاصرة، وأصبحت محاولاتهم جديرة بالاعتبار والتقدير، جديرة بأن يقام عليها دراسة بحثية تثمن مجهودهم في تكوين لسانيات عربية أصيلة.

ولما كانت اللسانيات « فرعين أساسين، ألسنية تاريخية، وألسنية وصفية آنية، فقد اتجهت أعمال هذه الفئة من اللغويين(...)إحداهما تاريخية والثانية وصفية »[2] ،وكلا الفرعين قد وجد مناصريه في البلاد العربية، ولعل المنهج الذي نال اهتمام الباحثين العرب ، هو المنهج الوصفي نظرا لقربه من الدرس اللغوي العربي التراثي و كونه منهجا علميا نتائجه مضمونة لا غبار عليها، ملائم لطبيعة اللغة العربية.

وهذا ما سنحاول التركيز عليه، بغية الكشف عن كيفية تطبيقيه على اللغة العربية من خلال أعمال مناصريه، وهذا ما يجيز لنا طرح السؤال التالي: متى عرف المنهج الوصفي طريقه إلى الثقافة العربية؟ وهل اتجه الاتجاهات نفسها عند الغرب؟ و اجابة السؤال ستكون في العنصر التالي:

3- بداية ظهور المنهج الوصفي في الثقافة العربية الحديثة:

أشرنا سابقا إلى أن الإرهاصات الأولى لظهور اللسانيات الوصفية كان بداية القرن العشرين، بعد ما عرفت أفكار دي سوسير انتشارا واسعا في أوربا[3].

أمّا عن معنى المنهج الوصفي فهو يدل بمعناه الواسع على ذلك المنحى من الدراسات اللغوية الذي يقوم بدراسة لغة معينة من حيث ملامحها الصوتية والنحوية وكذا مفرداتها، في حقبة زمنية محددة[4]

فتركزت عناية الوصفيين فيه على نقد اللسانيات التاريخية، وتجاوز نقائص النحويين التقليدين و قد استطاع الوصفيون أن يجمعوها في جملة من النقاط هي:

1. كان النحو ذاتيا بدل أن يكون موضوعيا (objective).

---

(1) فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص 18.
(2) محمد صلاح الدين شريف، أثر الألسنة في تجديد النظر اللغوي، ص 50.
(3) حافظ إسماعيل علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 225.
(4) عطا محمد موسى، مناهج الدرس النحوي في العالم العربي، ص 195.

2. التركيز على التعليل بدل التفسير بناء على الملاحظة.
3. الخلط بين اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة.
4. الخلط بين مستويات التحليل اللغوي.
5. التأثير بالمنطق الأرسطي واهتمامه بالتعليل و التقدير.

وهذه الانتقادات، اعتبرت نقاط ضعف في تاريخ الدراسة اللغوية، مما أبعد المنهج التاريخي من هذه الدراسة [1].

انتقل المنهج الوصفي إلى الثقافة العربية في فترة اتصال العرب بالغرب وذلك من طريق البعثات؛ إذ بدأت بواكيره في العالم العربي منذ أواخر الأربعينيات بعد أن بدأ المبعوثون إلى جامعات الغرب من مصر والعالم العربي يعودون إلى بلادهم[2]، حاملين معهم الأفكار اللسانية الغربية من أجل تطبيق مبادئها على اللغة العربية، منتهجين في ذلك نهج الدراسات اللغوية الغربية، وكان من بين العائدين «من تخصصوا في اللسانيات أو في أحد فروعها، ومن تتلمذوا على يد **فيرث Firth** في مدرسة لندن، فبعد عودة هؤلاء تصدّوا للتدريس والبحث اللغوي في الجامعات المصرية »[3] فكانوا بمثابة منطلق لبلورة الاتجاه الوصفي في الثقافة العربية، الذي سطع نجمه في سماء الدراسات اللغوية، وعدّ من ثمرات القرن العشرين، و إذا كان « القرن التاسع عشر قد اصطبغ بالصبغة التأريخية فإن القرن العشرين إنما يصطبغ بالصبغة الوصفية »[4]، فاعتبر تخصص اللسانيين العرب في الاتجاه الوصفي دون غيره، أمرا طبيعيا إذ« ما علمنا أن فترة صدور كتابات جلهم- وهي مرحلة اللسانيات الوصفية- لم تشهد إلاّ البحوث اللسانية الوصفية »[5] ، أي أن اللغويين العرب لمّا عادوا من الجامعات الغربية تشبعوا بالمبادئ الوصفية فكان أول ما فعلوه عند عودتهم، تأليف الكتب النظرية في الاتجاه الوصفي، من أجل نشر ما تعلموه في البلاد الغربية في المنهج الوصفي.

---

(1) ينظر: حافظ إسماعيل علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 225، 226
(2) عطا محمد موسى، مناهج الدرس النحوي في العالم العربي، ص 195.

(3) حافظ اماعل علوي ، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة ،، ص 42.
(4) تمام حسّان، مناهج البحث في اللغة، ص 36.
(5) ألفه يوسف، المساحية بين فقه اللغة واللسانيات عند بعض اللغويين العرب المعاصرين، ط:1، تونس: دار سحر للنشر، 1997، ص 39.

والى جانب هؤلاء، هناك من يرى أن الأفكار الوصفية بدأت تشق طريقها إلى النحو العربي على يد **برجستراسر** « في إلمامات موجزة تخللت أحاديثه ومحاضراته عن الدراسات التأريخية المقارنة، وقد عبّر عن الوصفية بالنظامية(...) عندما يقرر أنها تصف الواقع اللغوي دون التعليل لظواهره »[1]، ومن خلال هذا لا تبدو محاضراته ذات قيمة نظرية، يمكن لها أن تعجل بلورة الاتجاه الوصفي عند العرب لأن ما قدّمه يعتبر ملاحظات عابرة لم يؤسس فيها لشيء متعلق بالمنهج الوصفي.

وهناك من يرى أن مقولة الوصف تمتد إلى جهود الميسرين والمقارنين فالدكتور **صلاح الدين شريف** يرى أن الميسرين والمقارنين من اللغويين العرب، قد وظفوا فكرة الوصف في أعمالهم، إلا أنه ينعت وصفهم بالعمومية،أما الوصف عند المقارنين فنعته بالتأريخية، ويرى الباحث صلاح الدين شريف أن إخفاق هؤلاء في نقد النحو العربي يعود إلى كون التراث العربي تراثا وصفيا، فلا يصلح لنقده إلا نظرية وصفية[2].

وإذا أردنا البحث عن سبب قيام المنهج الوصفي في العالم العربي، وجدنا أنه جاء نتيجة « الرغبة في تطبيق هذا الجديد الذي تسلح به الدّارسون في الغرب،واستشعار النحاة العرب المحدثين أن درس العربية من منظور عربي ليس كافيا في هذه المرحلة »[3]، أي أن الدرس اللغوي العربي تخطى مرحلة البحث عن القواعد وعن الرفع والنصب، والبحث عن العلل، لأن هذه القضايا تبعد الباحث وتلهيه عن مقصد المتكلم ، فأصبح الرس اللغوي في ظل الوصفية يبحث عن الموضوعية في العربية، يبحث عن تفسير للظواهر اللغوية بعيدا عن الفلسفة والمعيارية.

والبحث اللساني العربي « في تبنيه اللسانيات الغربية سار على النهج نفسه في الدعوة إلى الوصفية من خلال نقد الدراسات اللغوية القديمة ونعتها بالمعيارية »[4]،ولهذا نجد أن من بواعث الأخذ بهذا المنهج هو نبذ فريق من النحاة المحدثين« للأفكار الفلسفية في الدرس النحوي، ومن ثم نبذهم للأخذ بمبدأ العلة ومبدأ العامل في الدرس النحوي،وهما من الأمور

---

(1)حلمي خليل، العربية وعلم اللغة النبوي، ص 141، نقلا عن عطاء محمد موسى، مناهج الدارس النحوي في العالم العربي، ص 197.

(2) ينظر: محمد صلاح الدين شريف، أثر الألسنة في تحديد النظر اللغوي، ص 52.

(3) عطا محمد موسى، مناهج الدرس النحوي في العالم العربي، ص 197.

(4) فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص 84.

التي طالما شكا منها المحدثون في هذا القرن »[1]، وهذا ما دفع بهم إلى البحث عن أسس جديدة،وجدوها في المنهج الوصفي لأن« الدراسات اللغوية الحديثة تجعل اللغة موضوعا للوصف وتستخدم لذلك من المناهج ما يضمن الموضوعية التامة لهذا الوصف »[2] .

ويذهب بعض الدارسين إلى أن الوصفية العربية في بادئ الأمر كانت غامضة وهذا لخلطهم بين المناهج ومبادئها، ويستدلّون على ذلك بأن **"عبد الواحد وافي"** استخدم مصطلح "الوصفية" للدلالة على الألسنية التاريخية[3]، إذ كان الرجل يخلط بين المنهجين ، المنهج الوصفي و المنهج التاريخي ، رغم أنه يعد بمؤلفيه " علم اللغة" ، و" فقه اللغة "، بداية حقة للكتابة في اللسانيات الوصفية، وكانت دراسته تعتمد على المبادئ التالية:

1. الاعتماد على الملاحظة والتجريب.
2. التفريق بين اللغة الحية واللغة الميتة.
3. تقسيمه للظواهر اللغوية إلى مستويات صوتية،و صرفية، ونحوية ودلالية.
4. تفريقه بين اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة[4].

فهو لم يعرض للمنهج الوصفي ولا حتى لدي سوسير، إلاّ عرضا عابرا، فكان ما قدمه صورة عن واقع البحث اللغوي في تلك الفترة التي ظلت حكرا على الاتجاه التاريخي والمقارن؛أي أنه لم يستطع أن يميز بين الدراسة التاريخية والدراسة الوصفية، وهذا نظرا لتأثره الشديد بالاتجاه التاريخي،و لعدم اتضاح الصورة أمامه ؛نظرا لانتمائه إلى فترة مبكرة من حياة المنهج الوصفي في العالم العربي .

ولم يتضح الأمر إلاّ بعد عودة **إبراهيم أنيس** عام 1941 من الجامعة الغربية، الذي تعد محاولته « أول محاولة عربية لوصف أصوات العربية وصفا جديدا، أفاد فيها من جهود القدماء والمحدثين كليهما »[5]، وهذا ظاهر من خلال مؤلفه" الأصوات اللغوية".([6])

---

(1) عطا محمد موسى، مناهج الدرس النحوي في العالم العربي، ص 197
(2) تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ط: بلا، المغرب: دار الثقافة، ص 26.
(3) ينظر: محمد صلاح الدين شريف، أثر الألسنة في تجديد النظر اللغوي، ص 52.
(4) ينظر: محمد عبد الواحد، علم اللغة، ص 42- ص 52.
(5) فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص 32.
([6]) ينظر : الأصوات اللغوية ، .ط:5.القاهرة :مكتبة الأنجلو مصرية ، 1979،ص1

والمطلع على ما كتبه إبراهيم أنيس في كتابيه "الأصوات اللغوية"، و"من أسرار اللغة"، نجده يفرق بين الوصفية والتاريخية في وقت لم يكن الفكر اللغوي العربي قد استقر بعد على تصوّر واضح لهذبن المنهجين في الدراسة اللغوية.

وقد ألف الباحث كتابا آخر وسمه **باللهجات العربية**، بيّن فيه وجوب البدء في دراسة اللهجات بالدراسة الوصفية بعيدا عن المقارنات [1] حيث يقول في هذا: « ودراستنا للهجات يجب أن تبدأ وصفية نشرحها ونسجّلها ونحلل أصواتها وكلماتها دون التعرض في البدء إلى أي نوع من المقارنات أو الحكم على أي صلة بلهجة قديمة »[2]، وهذا من صميم الموضوعية التي نادى بها المنهج الوصفي و البحث العلمي .

وقد ترسّخ هذا الاتجاه الوصفي بفضل الجهود التي أعقبت **إبراهيم أنيس** ، متجلية في جهود تلامذته ،وجهود بعض العائدين الجدد من المدرسة نفسها، الذين كوّنوا جيلا يمكن أن نصفه بحق « جيل الوصفيين العرب نذكر من أفراده:**عبد الرحمان أيّوب**، و**تمام حسان**،و**كمال بشر**،و**أحمد مختار عمر** في دار العلوم،والدكتور **محمود السعران**...»[3]، وقد شكّل هؤلاء مرحلة أولى لتطبيق المنهج الوصفي على اللغة العربية، حيث ركّزوا على التعريف بالدراسة الوصفية و أفكارها باعتبارها وافدا جديدا لا بد من تبسيط حقيقته للدارس العربي.

أمّا المرحلة الثانية من تاريخ اللسانيات في الفكر اللغوي العربي، فقد كانت مرحلة دفاع عن الفكر اللساني الحديث والكشف عن نظرياته من الناحية النظرية والمنهجية، كما شهدت هذه المرحلة مقارنة بين هذا الوافد والفكر اللغوي العربي القديم[4]، فكانت جهود اللغويين العرب في هذه الفترة من أبرز الجهود وأوفرها إسهاما في صياغة الخطاب اللساني العربي الحديث؛ حيث تفرعت جهودهم إلى اتجاهات حسب المدارس التي تتلمذوا على يدها، وهذا ما سنعالجه في العنصر الموالي.

4- الاتجاهات الوصفية الحاضرة في الخطاب اللساني العربي الحديث:

---

(1) ينظر: عبد المقصود محمد عبد المقصود، دراسة البنية الصرفية في ضوء اللسانيات الوصفية، ص 63.
(2) إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ط:3، مصر: مكتبة الأنجلو مصرية، 1956، ص 9-10.
(3) عبد المقصود محمد عبد المقصود، دراسة البنية الصرفية في ضوء اللسانيات الوصفية، ص66.
(4) حافظ إسماعيل علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 226.

ينتمي رواد الأسنة الوصفية العرب إلى مدرسة لغوية واحدة؛ حيث إنهم تتلمذوا على يد الانجليزي **"فيرث"** صاحب المدرسة الانجليزية، لكن رغم أنهم نهلوا من منهل واحد، وانتهجوا منهجا واحدا وهو المنهج الوصفي، إلا أن اتجاهاتهم قد تعددت وتفرعت[1] ، خاصة إذا علمنا أن الوصفية الغربية اتجاهات: منها الوصفية الأمريكية الشكلية، والوصفية الأوربية السياقية، حيث تجسدت هذه الاتجاهات لدى اللسانيين العرب المحدثين تجسيدا واضحا في أعمالهم، تعكس نسبة التأثر العربي باللسانيات الغربية،ومن هذه الاتجاهات نذكر :

أ. الوصفية الأمريكية الشكلية:

من أهم ما يميز هذه المدرسة، هو فصلها بين الشكل والوظيفة، فركّزت على الشكل وأهملت المعنى، ومن أبرز من وضع أنظاره على أساس هذه المدرسة **"عبد الرحمان أيوب "** من خلال كتابه **" دراسة نقدية في النحو العربي "** عام 1951، وكذا اللغوي **محمد الشاوش،** في مقالته **"دراسة بشأن تركيب الجملة"**[2].

فعبد الرحمان أيوب دعا إلى دراسة اللغة العربية من خلال انتهاجه لمنهج التحليل الشكلي، وفي هذا يقول: « وازدهرت اليوم مدرسة تسمى بالمدرسة التحليلية الشكلية (School of Phormalanalysis) وتنوعت نظرياتها وأصبحت الدراسة في بعض صورها بالمعادلات الرياضية »[3].

فهو يرى أن هذه المدرسة تتسم بالموضوعية والوصفية، فاتجه من خلال دعوته إلى الالتزام بهذه المدرسة إلى نقد التفكير النحوي، بوصف هذه المدرسة جزءا من الثقافة العربية[4] ، فربط في دراسته بين الوصفية والمنهج الشكلاني؛ حيث يقول: « إن المدرسة الوصفية تدرس اللغة لا من جهة دلالة الألفاظ، بل من جهة أشكالها، وهي بذلك تكتفي بتقرير الواقع لا غير »[5]. فهذه المدرسة ركّزت على الشكل باعتباره ظاهرة يمكن ملاحظتها وتطبيق المنهج العلمي عليها، لذلك أهملت المعنى لعدم إمكانية تطبيق المنهج

---

(1) ينظر: عبد المقصود محمد عبد المقصود، دراسة البنية الصرفية في ضوء اللسانيات الوصفية، ص66.
(2) ينظر: عطا محمد موسى، مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في الفرن العشرين، ص 207.
(3) دراسات نقدية في النحو العربي، هـ(المقدمة)، نقلا عن ، حليمة أحمد عمايرة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء، ط:1، الأردن: دار وائل، 2006، ص 42.
(4) حليمة أحمد عمايرة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء، ص 42.
(5) دراسات نقدية في النحو العربي، ص 21، نقلا عن: فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص، ص 87.

العلمي عليه، وبعدم إمكانية ملاحظته، وفي الوقت الذي كان « اللغويون من ميسرين ومقارنين ينقدون النحو لتشبثه بالشكل، ويفكرون في إلحاق علم المعاني كان **أيوب** الوحيد الذي يفكّر في إخراج قسم من النحو، يدخله في علم المعاني »[1].

فأقام أيوب نقده للتراث اللغوي العربي، على أساس وصفي شكلي، معتمدا على الوصفية مقابل التعليل الفلسفي والمنطقي، واستبعاد المعنى في تصنيف الوحدات والاعتماد على الشكل والوظيفة أساسا للتصنيف [2]، سنعرض لبعض آراء الرجل في الفقرات المقبلة من خلال محاولته في إعادة قراءة التراث اللغوي.

ومن النحاة الذين انتهجوا منهج التحليل الشكلي أيضا: **" نهاد موسى "** ،لكنه اختلف عن أيوب ؛ حيث استهدف من خلال عمله « المقابلة بين أنظار من البنوية وأخرى من النحو العربي لاستشعار وجود مشابهة بين الطرفين »[3] ،من خلال كتابه "نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث"؛إذ يجد في منهج التحليل التقابلي (contrastive Analysis) ما يؤنسه في هذا التوجه ، إذ أن هذا المنحى لا يجد غضاضة في المقابلة بين لغات لا تربطها أسر لغوية[6].

لم يتوقف جهده على هذا ، بل قد اعتمد كذلك على مبدأ آخر للبنوية الوصفية، المتمثل في مبدأ الخانية ، فهو منهج « يقوم على ضبط العلاقة بين الوظيفة النحوية، وهي تمثل في العادة خانة أو موقعا يكون ثابتا أو متغيرا، ومفردات الباب التي يمكن أن تحتل تلك الخانة أو أن تقع ذلك الموقع »[4] .كما« أن للرجل محاولات جادة من بينها دراسة متميزة نحا فيها نحو توصيف جديد للعربية في ضوء اللسانيات الحاسوبية، جاء فيها مثل دال على حضور التفكير العلمي في منهج اللسانيات الحاسوبية»[5].

ومن المحاولات التي تستحق الثناء في ظل المنهج الشكلي التقابلي، ما قام به **سعيد البحيري 1989**؛ الذي حاول تشكيل عناصر نظرية نحوية من كتاب **"سيبويه"**، وقابلها

---

(1) محمد صلاح الدين شريف، أثر الألسنة في تجديد النظر اللغوي، ص 53.
(2) ينظر: عبد المقصود محمد عبد المقصود، دراسة البنية الصرفية في ضوء اللسانيات الوصفية، ص 68.
(3) عطا محمد موسى، مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين، ص 225.
[6] ينظر:نهاد موسى، النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث .ط:1.الأردن :دار البشير، 1979،ص 19
(4) عطا محمد موسى، مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين ، ص 226.
(5) حسن خميس الملخ، التفكير العلمي في النحو العربي، ط:1، الأردن: دار الشروق، 2002، ص 49.

باتجاهات نحوية حديثة من أبرزها الاتجاه المعجمي الوظيفي، المتطور عن نظرية تشومسكي والنحو الوظيفي[1].

وصفوة القول أن الوصفيين العرب قد أقاموا بنيان دراستهم على أساس وصف الواقع اللغوي دون الجري وراء الفلسفة و العلل و التقدير و التأويل ، فأقامت المدرسة الوصفية التشكيلية منهجها على هدي هذا المعيار العريض آخذة في الاعتبار ألا تجعل المعنى وسيلة من وسائلها في التحليل اللغوي ، بل جعلت الوصف الشكلي هو الطريق إلى بلوغ المعنى [4].

ب-المنهج الوصفي السياقي:

عرفنا من خلال مدخل هذا البحث، أن من أبرز الذين نادوا بضرورة الاعتماد على السياق بوصفه عنصرا أساسيا لفهم الخطاب اللغوي، العالم الانجليزي **فيرث Firth** ، وهو بذلك متأثر بالعالم البولندي **مالينوفسكي** الذي توصّل إلي نظرية سياق الحال والعناصر المكونة له،فقد تتبع **فيرث** خطوات الرجل وحدّد المعنى من خلال مجموعة الوظائف اللغوية لسياق الحال، فكان منهجه سهل الانقياد للملاحظة والتحليل الموضوعي، فهو يعالج الكلمات بوصفها أحداثا وأفعالا وعادات تقبل الموضوعية والملاحظة في حياة الجماعة المحيطة بنا[5]. وبهذا كان رائد اللسانيات الوصفية الوظيفية التي أعطت أهمية كبيرة للسياق، الذي قام بدور كبير في تفسير البنية اللغوية وتحليلها.

فإذا حاولنا التنقيب عن هذه النظرية في الخطاب اللساني العربي الحديث، نجد **تمام حسّان** الذي يعد من أبرز المتأثرين بنظرية السياق في كتابه "اللغة بين المعيارية والوصفية " 1958، الذي يعد من الكتب النظرية التي قدمت المنهج الوصفي إلى الفكر اللغوي العربي الحديث بصورة أدق وأشمل من كتاب عبد الرحمان أيوب، حيث إن هذا الأخير وصف الدراسات النحوية العربية بالتقليدية أما تمام حسان فقد وصفها بالمعيارية perspective وهو مصطلح جديد مستمد من الفكر اللغوي الأوروبي في مقابل الوصفية Descriptive التي يدعو إليها من خلال مصنفاته الرائدة [2].

---

(1) ينظر: عطا محمد موسى، مناهج الدرس النحوي في العالم العربي، ص 229.

(4) ينظر :المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

(5) ينظر : المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

(2) ينظر: احمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 72.

ولقد زاوج تمام حسّان بين نقد التفكير اللغوي العربي القديم الذي وصفه بالمعيارية وبين طرحه للمنهج الجديد، وفي هذا يقول:« فكّرت في أمر الدراسات العربية القديمة من حيث المنهج، لا من حيث التفاصيل وجعلت تفكيري في أمرها مستضيئا بمناهج الدراسات اللغوية الحديثة »[1]، وتفكيره هذا جاء بعدما رأى الناس يشكون داءً في النحو لا يستطيعون تشخيصه، جعلهم يبتعدون عنه .

ونجد الرجل في طرحه متأثرا بفيرث خاصة في قضية اجتماعية اللغة، من حيث هي عنصر من عناصر النشاط الاجتماعي الفردي، وهي من العناصر التي تتميز بها المجتمعات، وعدّ خطرها في حياة الفرد لا يقل عن خطرها في حياة المجتمع، فهي الأداة الوحيدة التي تمكن الفرد من الدخول في نطاق المجتمع الذي يعيش فيه، فموقف المتكلم من اللغة كموقفه من العادات والتقاليد والدين ، وبما أن العرف هو الذي يحدد المقاييس الاجتماعية، فهو أيضا الذي يحدد معايير اللغة، فنجد الذي يستعمل لغة مجتمعه إنّما يستعمل أصواتها وصيغها ومفرداتها وتراكيبها حسب أصول استعماليه معينة[2]، وقد حاول تمام حسان بذلك إثبات علاقة اللغة بالمجتمع وربطها بالسياق الذي يحدد وظيفتها.

فقد حاول تمام حسّان تقديم للقارئ العربي ما اصطنعه الغربيون في مجال اللسانيات الوصفية من خلال كتابه ّ**مناهج البحث في اللغة** " 1955، فعرض للمنهج الوصفي عرضا مفصلا، معتمدا في توضيحه على اللغة الفصحى والعاميات، واللغات الأجنبية.

فهذا الكتاب يتكامل مع كتابه **"اللغة بين المعيارية والوصفية"**، حيث يعتبر هذا الأخير بمثابة تحقيق وعد أو أمنية راودت الباحث من خلال كتابه "مناهج البحث في اللغة".فتناول فيه الأصول المنهجية والمبادئ النظرية العامة التي تقوم عليها الوصفية، منطلقه في ذلك نظرية هيكلها غربي ، حاول تمام حسّان تطبيقها على اللغة العربية[3].

أما نظرته إلى اللغة في ظل المدرسة السياقية فقد اعتبرها « نشاط اجتماعي ، يجب أن تدرس كذلك بالملاحظة والوصف»[4] حيث يعتبر الملاحظة والوصف من أهم مرتكزات

---

(1) عبد المقصود محمد عبد المقصود، دراسة البنية الصرفية في ضوء اللسانيات الوصفية، ص 68، 69.
(2) ينظر: تمام حسّان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص 09، 10، 11.
(3) ينظر: عبد المقصود محمد عبد المقصود، دراسة البنية الصرفية في ضوء اللسانيات الوصفية، ص 76.
(4) تمام حسّان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص 17.

الدراسة العلمية الموضوعية التي تمكن الدارس من الوصول إلى النتائج الدقيقة خاصة إذا تعلق الأمر بقضية اجتماعية.

وفي دعوته إلى الوصفية نجده يركز على الشكل والوظيفة لكونهما أساسين من أسس بناء المنهج الوصفي، يطبّقان في كل فرع من فروع الدراسات اللسانية، وبهذا يمكن أن نصف هذا المنهج بالشكلي أو الوظيفي[1].

إن تأثر تمام حسان بالمنهج الوصفي السياقي جعله أمام « وصفية تعطي أهمية بالغة للمعنى، وهي بذلك تختلف عن وصفية عبد الرحمان أيوب التي تحتكم إلى الشكل دون المعنى»[2]، ففي دعوته ركّز على المبادئ التي أخذها من أستاذه فيرث.

يبرز المنهج الوصفي السياقي أو كما سمّاه الوظيفي من خلال تطبيقه على اللغة العربية في كتابه **"اللغة العربية معناها ومبناها "**1973 الذي أراد من خلال فصوله وصف اللغة العربية من كل مستوياتها، قائلا: « والغاية التي أسعى وراءها بهذا البحث أن ألقي ضوءًا كاشفا على التراث اللغوي العربي كله، منبعثا من المنهج الوصفي في دراسة اللغة »[3]، فأعاد وصف اللغة العربية من خلال إشكالية المبنى والمعنى التي حكمت الدراسة اللغوية ابتداء من **عبد القاهر الجرجاني،** وحتى لا نغوص أكثر في تفاصيل الدراسة الوصفية التي جاء بها الرجل، سنكتفي بهذه الإشارة، لنعرض لأهم ما جاء به من آراء في الفصول القادمة المخصصة له، حيث سيكون متسع للقول على أعمال تمام حسّان، في مجال المنهج الوصفي الوظيفي.

ومن الباحثين الذين لا يمكن أن ننسى جهودهم في مجال اللسانيات، الذين تأثروا كذلك بنظرية السياق، **محمود السعران،** في كتابه **"علم اللغة مقدمة للقارئ العربي"** 1972؛ إذ يشير هذا الرجل إلى ضرورة دراسة اللغة« دراسة موضوعية تستهدف الكشف عن حقيقتها »[4]فالباحث اللغوي عندما يدرسها لا يدرسها هادفا إلى ترتيبها أو تصحيح جوانب منها أو تعديل أخرى، إن عمله قاصر على أن يصفها ويحللها بطريقة موضوعية [5] ، فهو في هذا

---

(1) ينظر: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص37.

(2) حليمة أحمد عمايرة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء، ص 45.
(3) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 10.
(4) محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص 51.
(5) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

يدعو إلى وصف اللغة العربية كما هي، دون أن نتدخل في بنيتها ولا في قواعدها، بل ملاحظتها ووصفها وصفا موضوعيا بعيدا عن الذاتية، وهذا ما يضمن نتائج سليمة يمكن أن نبني عليها نظرية لغوية.

أمّا مظاهر المدرسة السياقية عند السعران، فتظهر من خلال اهتمامه بها كونه جعلها آخر المدارس اللغوية التي اهتمت بالمعنى، حيث وقف عندها بالتفصيل عارضا في ذلك لآراء **"مالينوفسكي"**، الذي تأثر به فيرث وأخذ منه نظرية سياق الحال [1] .

فقد وضّح السعران مكونات سياق الحال كما هي عند مالينوفسكي، الذي يتكون من شخصية المتكلم والسامع وتكوينها الثقافي ومن كان معهما، والعوامل الاجتماعية ذات العلاقة باللغة، وأثر النص الكلامي في المشتركين.ويرى هذا الباحث أن هذه النظرية تشمل جميع أنواع الوظائف الكلامية عكس النظريات القديمة التي اقتصرت على إبراز نوع أو أكثر من الوظائف الكلامية[2]؛أي أن هذه النظرية ألقت الضوء على كل وظائف الرسالة التي عرض لها جاكبسون من وظيفة شعرية،ووظيفة فوق اللغة ووظيفة إفهامية...الخ.

أمّا المعنى عند هذه المدرسة فهو وحدة مركبة من مجموعة الوظائف اللغوية الصوتية الفونولوجية والنحوية والمعجمية والوظيفية الدلالية لسياق الحال، أما قضية الوصول إلى حقيقته فيكون تحليل هذه الوحدة على هذه المستويات مع بيان سياق الحال[3].

فالسعران من خلال ما طرحه عن هذه النظرية ،يمكن أن نقول أن تأثره بها كان نظريا ويمكن ملاحظة هذا من خلال ما طرحه في كتابه المذكور سلفا ، حيث قصد إلى التعريف بالأصول العامة للمناهج المختلفة [4] ، فأراد أن يضع أساسا نظريا للسانيات في العالم العربي« حتى يكون القارئ على بينة من المذاهب اللغوية المختلفة، وعلى دراية بالفلسفة التي قامت عليها، وعلى علم بأهم المؤلفات فيها »[5] ومن خلال ما طرحه محمود السعران السعران في كتابه ،المشار إليه، يسجل اكتمال الجانب النظري للوصفية البنيوية التحليلية؛ حيث تناول لنظرية السياق من الجانب النظري التاريخي لا من الوجهة التطبيقية كما فعل تمام حسان، إلاّ في عرضه لبعض المفردات اللغوية التي يحتاج للوقوف على معناها

---

(1) ينظر: حليمة أحمد عمايرة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء، ص 46.
(2) ينظر: محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص 310، 311.
(3) محمود السعران ، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص 312.
(4)ينظر: حليمة أحمد عمايرة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء، ص 46.
(5) محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص 07.

الدلالي إلى سياق الحال، وقد مثل لهذه المفردات اللغوية من القرآن الكريم ومن الشعر الجاهلي وأمثال العرب والشعر الصوفي؛حيث لم يزد عمّا ردّده أستاذه فيرث حول عناصر هذه النظرية [1].

كانت هذه أهم اتجاهات البحث الوصفي عند العرب المحدثين ممثلة عند **عبد الرحمان أيوب، وتمام حسّان ومحمود السعران،** وآخرين ذكروا عرضا في هذا المبحث، سنحاول في المبحث الآتي أن نعرض لأهم آرائهم في إعادة وصف اللغة العربية من منظور لساني، استطاعوا من خلاله صياغة الخطاب اللساني العربي الحديث بتطبيق ما تعلموه في الجامعات الغربية .

ج- الاتجاه الوصفي التفسيري (المنهج التوليدي التحويلي):

لقد عرفنا في المدخل أن المنهج التوليدي التحويلي نشأ على أنقاض اللسانيات البنوية، حيث نحا بالبحث اللساني منحى مغايرا ، فانشد إليه كثير من الباحثين ، فعرف طريقه إلى ثقافات عديدة ، فكان للثقافة العربية نصيب منه ؛ حيث عرفت النظرية التوليدية طريقها إلى ثقافتنا في بداية السبعينات من القرن العشرين، كما عرفت تطبيقات مهمة على اللغة العربية ([2]).

فمن الدوافع التي حدت النحاة العرب المعاصرين على ضم هذا المنحى إلى زمرة المناهج المستخدمة في تقويم نظرية النحو العربي ،رغبتهم في استخدام منهج يستطيعون به سد النقص الذي نجم عن المناهج التي تم استخدامها وهم يطمحون إلى الوصول إلى وصف دقيق للتراكيب العربية و تحولاتها العديدة .([3]) و من البواعث أيضا على استخدام هذا المنهج ، إحساس فريق من النحاة العرب المحدثين بقصور المدرسة الشكلية في تفسير النظرية النحوية العربية ، ذلك القصور الذي كان من أبرز مظاهره اطّراح المعنى في التحليل النحوي للظاهرة اللغوية ، و الاستناد في درس النحو إلى تصنيف شكلي لا يقوى على تفسير الجانب العميق للتراكيب اللغوية؛ فمن بين التركيبات التي لم تستطع المدرسة

---

(1) ينظر: عبد النعيم خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، ط:1، الإسكندرية: دار الوفاء للطباعة والنشر، 2007، ص 324.

([2]) حافظ اسماعيل علوي ،اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة ،ص261.

([3])عطا محمد موسى ،مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين ،ص234،233.

الشكلية تفسيرها الجمل المبنية للمجهول ، إذ لم يفسر هذا المنهج طبيعة التغير الذي يطرأ على مبنى الجملة عند تحولها على صيغة المبني للمجهول.([1])

ومن هؤلاء النحاة الذين حاولوا تطبيق أنظار المنهج التحويلي على لغتهم نذكر: **محمد علي الخولي ،وميشال زكريا ،وعبد القادر الفهري، ومازن الوعر** ([2])، حيث نستطيع أن نميز من خلال أعمال هؤلاء بين :([3])

- محاولات توليدية جزئية : وهي محاولات ركزت اهتمامها على نموذج أو أكثر من النماذج التوليدية ، ومن أهم النماذج التي استأثرت باهتمام التوليديين العرب : النموذج المعيار ، و النموذج المعيار الموسع ، ونحو الأحوال ، والنظرية الدلالية التصنيفية .
- محاولات توليدية شمولية ، وتظهر شموليتها في مواكبتها المستمرة للتطورات المتلاحقة التي عرفتها النماذج التوليدية ،مع تحديث الآلة الواصفة لمعطيات اللغة العربية، والانخراط في مستجدات الأسئلة التي أفرزها الخطاب اللساني الغربي المعاصر، والتوليدي منه بشكل خاص.

فمن المحاولات التوليدية الجزئية نسجل محاولة **داود عبده** و **ميشال زكريا.فداود عبده** من أوائل اللسانيين العرب الذين استلهموا مبادئ النظرية التوليدية ، إذ جمع بين الدراسة الصوتية و الدراسة التركيبية ، وهي دراسة ركّزت على تجاوز القصور الذي طبع الاتجاه الوصفي ([4])، و في هذا يقول :"ويخيّل إلي أن عددا من هؤلاء اللغويين المعاصرين قد بلغ في التعصب للمنهج الوصفي حد التطرف ، فكاد يجرد علم اللغة مما يستحق أن يسمى من أجله علما ، فإذا كانت غاية علم اللغة الوصف فحسب ، فلأي علم ننسب تفسير الظواهر اللغوية المختلفة ؟(...) في اللغة نحن نحتاج إلى عالم لغوي لكي يذكر لنا أن الفعل الثلاثي في العربية يأتي على أوزان مختلفة : كتب ، قام ، باع ، مد ، قضى ، غزا، نسي ، ولكل من هذه الفئات تصريف خاص قائم بذاته ، فأي عربي مثقف يستطيع أن يلاحظ هذا .ما

([1]) ينظر : كريم حسام الدين ، أصول تراثية في علم اللغة ، ص107،106.
([2]) ينظر : عطا محمد موسى ، مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين ، ص242.
([3]) ينظر : حافظ اسماعيل علوي ، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة ، ص262.
([4]) حافظ اسماعيل علوي ، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة ، ص263.

نحتاج إليه هو تفسير عدد من الظواهر اللغوية المتعلقة بهذه الأفعال".([1])، ومن خلال قوله نجده اعتمد التفسير في التحليل و استعاض به عن الوصف.

ومن النحاة العرب المحدثين الذين عكفوا على وصف النحو بأدوات غربية **ميشال زكريا** ، حيث أصدر عددا من المؤلفات تناول فيها المنهج التوليدي التحويلي على المستويين النظري و التطبيقي ([2])، فتميزت كتاباته بعرضه المفصل للقواعد التوليدية والتحويلية و التمثيل لها من معطيات اللغة العربية،ومن أبرز تحليلاته ما تعلق بدراسة الجملة ([3])، وفي هذا الإطار عرض لمقولة مفادها أن ترتيب العناصر في هذه الجملة حر، وأن العلامات الإعرابية هي التي تدل على الحالات الإعرابية ، إلا أنه يستدرك على هذه المقولة بأنه لا بد من توافر ضوابط لهذا الترتيب تحد من استخدام جمل لا يقبلها منطق اللغة كالجملتين التاليتين :

الرجل التفاحة أكل

التفاحة الرجل أكل.

وذلك يعني أن الترتيبين :(فاعل +مفعول +فعل) و (مفعول +فاعل +فعل)غير سائغين لتعارضهما مع المستوى الصوابي للغة.([4])

وقد أشار في بحوثه إلى الأهمية البالغة التي تتخذها إعادة كتابتها (الجملة) بالقواعد التوليدية و التحويلية من حيث إن للجملة بنية عميقة تشتغل عليها قواعد توليدية و تحويلية لاشتقاق بنيتها السطحية .فالجملة من هذه الزاوية ، هي الوحدة الأساسية التي تقوم عليها هذه القواعد.([5]) فلقد استفاد **ميشال زكريا** من معطيات النظرية التوليدية و خصوصا ما سطّره **تشومسكي** في نماذجه الأولى ، وهذا جلي في تركيزه على عناصر التحويل .([6])

ومن المحاولات التوليدية الشمولية محاولة **عبد القادر الفاسي الفهري** ، الذي انخرط عبر مشاريعه العلمية، في بناء أوصاف دقيقة لظواهر من اللغة العربية(صرفا ،وتركيبا ،

([1]) دراسات في علم أصوات اللغة العربية .ط:بلا.الكويت :مؤسسة الصباح ، 1979، نقلا عن : المرجع السابق، الصفحة نفسها.

([2]) ينظر : عطا محمد موسى ، مناهج الدرس النحوي في العالم العربي ، ص249.

([3]) ينظر : حافظ اسماعيل علوي ، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة ، ص 269.

([4]) ينظر : ميشال زكريا، الألسنية التوليدية و التحويلية (الجملة البسيطة) .ط:1.بيروت :المؤسسة الجامعية للدراسات ،1983،ص26

([5]) ينظر : المرجع نفسه ، ص23.

([6]) حافظ إسماعيل علوي ، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة ،ص 271.

ومعجما ، ودلالة) ، ولم يكتف بالبحث في قضايا اللغة العربية اللسانية ، بل أثار قضايا تهم التخطيط اللغوي و التوظيف الحاسوبي للغة العربية([1])

و قد اتكأ في أعماله المختلفة على منحى من مناحي النظرية التوليدية التحويلية قامت بتطويره الباحثة الأمريكية **برزنان (1978)** ، فهو يرى أن العربية كسائر اللغات ، تطورت و تغيّرت عبر القرون ، وأن هناك ما يدل على أن اللغة التي وصفها سيبويه ليست هي الموجودة حاليا بالنظر إلى كثير من خصائصها التركيبية و الصرفية و الصوتية ، و يذهب إلى أنه مهما كانت قيمة الأنحاء التي وضعها القدماء أو المحدثون لهذه اللغة ، فإن الحاجة تستلزم بناء أنحاء أخرى بجهاز مفاهيمي أو نظري جديد ([2]) .

و يستطرد **الفهري** إلى أبعد من ذلك ،فيصف المعطيات النحوية العربية القديمة و الحديثة بأنها ناقصة ، ولا تعالج كل صور الكلام المسموع ، وأنها تنتحل تراكيب مصطنعة للدلالة على قواعد النحاة ، كما يرى أن العربية ، وإن تفردت ببعض الخصائص ، فإنها تشترك مع سائر اللغات في خصائص كثيرة ، كما تضبطها قيود و مبادئ تضبط غيرها من اللغات([3])

.

فالفهري يؤمن بأن يكون النحو إسقاطا للمعجم ، أي أن تكون هناك روابط وثيقة بين القواعد التركيبية و الصرفية و الصوتية و الدلالية و بين المعجم([4]) ، كما يؤمن بأن النماذج الغربية الغربية الواصفة قد أثبتت كفايتها في وصف اللغة ، ومن هذا المنطلق ، فقد اختار " المعجمية الوظيفية " التي طورتها الباحثة الأمريكية **برزنان** عن نظرية **تشومسكي** لتكون المنهج الذي يدرس به النحو العربي ([5])

ويقوم بنيان هذه النظرية على تحديد الروابط بين البنية المحمولية التي تتمثل في العلاقات الدلالية التي تشد المحمول إلى الموضوع ، و البنية المكونية، التي تتمثل في بنية المكونات كما تظهر من خلال النسق الذي ينتظمها في السطح ، ويجدر التنويه إلى أن الوظائف النحوية ، وهي الفاعل (فا) و المفعول غير المباشر ، والمالك (possessor) ، والفضلة (فض) ، والملحق (Adjunct) ، هي التي تقوم بمهمة التوفيق بين البنيتين ، كما أن هذه

([1]) المرجع نفسه ، ص282.
([2]) ينظر : اللسانيات و اللغة العربية ، ص53.
([3]) ينظر: اللسانيات و اللغة العربية ، ص56،53
([4]) ينظر :المرجع نفسه ، ص33.
([5]) ينظر :المرجع نفسه ، ص81

الوظائف تسند إلى المكونات بواسطة القواعد التركيبية ، وإلى الموضوعات بواسطة القواعد المعجمية ، وأنها تبعا لهذه النظرية تعتد من الكليات ([1])

فمكونات النظرية لدى الفهري هي : المكون المركبي ، والمكون الوظيفي ، والمكون التحويلي ، و المكون الصوتي، والمكون الدلالي المنطقي ، ليكون التطوير الذي أحدثته برزنان و احتذاها فيه **الفهري** يتمثل في إضافة مكون جديد هو المكون الوظيفي .([2])

فمحاولة **الفهري** تنم عن أصالة في البحث ، تتسم بالدقة و الموضوعية و العمق ، تظهر أن صاحبها ذو كفاية عالية في هذا الميدان الذي ولجه من أوسع أبوابه، فما قام به خطوة جادة نحو نظرية نحوية عربية حديثة .

سنكتفي بهذا الحديث البسيط عن جهد **الفهري** ،و سنتوقف عند هؤلاء الدارسين الذين مثلوا الاتجاه التوليدي التحويلي ، مع الإشارة إلى وجود جهود أخرى كثيرة تجاوزناها رغم أهميتها نظرا لأن مقصدنا هو لفت الانتباه إلى وجود هذا المنحى في اللسانيات العربية الحديثة.

كانت هذه هي الاتجاهات الوصفية في الخطاب اللساني العربي الحديث ، التي اتخذها علماء العرب المحدثون أداة في وصف أنظمة اللغة العربية ، سنركز في المبحث التالي على بعض جهود علماء اللغة العرب الوصفيين .

([1]) ينظر :المرجع نفسه :،الصفحة نفسها .

([2]) عطا محمد موسى ، مناهج الدرس النحوي في العالم العربي ، ص260.

المبحث الثاني :
تجارب بعض رواد اللسانيات الوصفية العرب في إعادة وصف اللغة العربية

لقد بيّنا في الفقرات السابقة، أن اللسانيات العربية قد ارتبطت بالنظريةاللسانية الغربية، فكان عليها إثبات وجودها في قدرتها على تكوين خطاب لساني عربي له أصوله النظرية والتطبيقية، له خصوصياته الحضارية، وهذا يكون من خلال تأديتها لجملة من الوظائف، كان من بينها إعادة النظر في التراث اللغوي العربي، ونقد النظرية النحوية العربية بهدف تنقيتها من المعيارية والنظرة الفلسفية.

فما نصطلح عليه بنقد النظرية النحوية ليس بالأمر الجديد، إذ فطن الميسرون والمقارنون إلى ذلك، لكنهم لم يستطيعوا تشكيل خطاب لساني يعتمد عليه في إعادة إحياء قواعد العربية، وإصلاح مناهجها؛لأن « ما اقترح من نقود لا يصلح بديلا للنظرية النحوية، وأنّه قاصر مقصّر اجتر عبارات النحويين »[1] فكما يقول تمام حسان عنه أنه تكلم « في جزئيات النحو لا في صلب المنهج »[2] وفي ظل هذه الأوضاع كان على العربية أن تنتظر أبناءها العائدين من الجامعات الغربية، المحملين بالأفكار الغربية والمشبعين بالمقولات اللسانية الوصفية، والمدركين لحقيقة الوضع الذي تعيشه اللغة العربية، والواعين لعمق قضية نقد النظرية النحوية، وهذا الذي أدركه **"عبد الرحمان أيوب"** من خلال قوله: « ظن الكثير أن الأمر لا يعدو إعادة تدوين النظرية النحوية بأسلوب حديث ولكن الأمر عندي

(1) فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص 59.
(2) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 03.

أعمق من كل هذا»[1]، فالأمر إذا ليس مجرد ربط القديم بالحديث، بل القضية أخطر وأعمق من ذلك .

وقد أدرك **"محمود السعران "**عمق العملية إذ يقول في هذا« إنّا لنعالج أحيانا مشكلات لغوية خطيرة على جهل بما يراه العلم اللغوي الحديث من البسائط والأولويات(...) ومن ذلك أن علماءنا يتحدثون عن تيسير النحو وعن تيسير العربية وترقيتها وعن إصلاح الكتابة العربية وعن العامية والفصحى»[2]، فمن خلال تصريحه يبدو أنه أدرك خطأ النقاد السابقين في نهجهم النقدي للدراسات اللغوية غير الواعية بالدراسات اللغوية الحديثة، والتي تدور في دائرة ليست من محور العصر.

ولأجل إصلاح الوضع أصرّ اللسانيون المحدثون على إعادة وصف اللغة العربية ونقد النظرية النحوية، التي شكلت إحدى مقولاتهم اللسانية، التي اعتبرت مقدمة منهجية للسانيات العربية، وفاصل للانتقال إلى مرحلة جديدة تعني بتطبيق المناهج الحديثة على اللغة العربية، تحاول من خلالها إثبات وجودها في الساحة اللغوية بدعوتها إلى تطبيق الوصفية على الدرس اللغوي العربي، فكانت هذه المحاولة ثورة فكرية ،أحس بها عبد الرحمان أيوب خلال تجربته قائلا: « إنّي اشعر من ناحية أخرى أن هذه المحاولة تمهيد ضروري لثورة عقلية لا بد من نضوجها قبل أن ينفتح الجيل الجديد إلى البحث اللغوي الموضوعي »[3] ويقصد الدكتور بقوله هذا،أن على الدرس اللغوي أن يمر بمرحلة تمحيص وفرز للأفكار قبل الانطلاق في المناهج اللغوية الحديثة ،خاصة إذا علمنا أن النظرية اللغوية المهيمنة على الدراسات اللغوية العربية خلال عصور طويلة هي النظرية نفسها التي قدّمتها الثقافة الإسلامية ، والتي أورثت الباحثين أوهاما وخلطا في التفكير.

وهذا الوضع الغامض أحس به تمام حسان حين شرع بدراسة اللغة العربية، وفي هذا يقول: « لقد منيت الدراسات اللغوية العربية مدة طويلة بسمة الصعوبة وأحيانا بسمعة التعقيد(...) ولعل نعت الدراسات العربية هذه النعوت إنّما جاء لعدم التجديد في مناهجها، فما ورثناه عن آبائنا لا يزال كما هو...»[4]، فكان من واجب اللغويين أن يعيدوا النظر في

---

(1) دراسات نقدية في النحو العربي، نقلا: عن فاطمة الهاشمي، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث ،ص 59
(2) محمود السعران، علم مقدمته للقارئ العربي، ص 23.
(3) دراسات نقدية في النحو العربي، نقلا عن: فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس العربي الحديث، ص 57.
(4) مناهج البحث في اللغة: ص 12.

الدرس اللغوي العربي، وتخليصه من الشوائب العالقة به التي رسخت في الأذهان وهيمنت على التفكير العربي كمقدسات يحرم على الدارس تحريفها أو تغييرها، على اعتقاد إن ما جاء به اللغوي العربي الأول كاف وشاف، وهم بذلك يوهمون أنفسهم بالصحة والكمال.

ومن خلال هذا تأتي « محاولة إعادة وصف اللغة العربية كنتيجة حتمية، لما اقترحه اللسانيون العرب من مقدمات نظرية »[1] وارتبط هذا بحاجة اللغة العربية إلى إعادة النظر في منهجها وطريقة تناولها في ظل ظهور المناهج الغربية.

فقد حاول العرب إيجاد هيكل بنيوي لدراسة اللغة العربية، يستمد مقولاته من النظرية اللسانية الغربية من دون الاعتماد على نتائج النظرية اللغوية التقليدية، إذ يرى بعض الباحثين أن عملية إعادة وصف اللغة العربية قد خضع للغة الواصفة Metalanguage التي قدّمتها النظرية النحوية العربية القديمة، حيث كانوا يستعملون مفاهيم تنتمي إلى اللغة الواصفة لنظرية النحو العربي كالحال والمبتدأ والخبر والفعل[2]،فاتجهت اللسانيات العربية وجهة توفيقية بين التراث اللغوي العربي، والدرس الغربي،لأن الدارس العربي لم يستطع التخلي عن موروثه اللغوي في عمله النقدي.

فرغم ارتباط هؤلاء بالتراث اللغوي إلا أن نقدهم للنظرية النحوية العربية يبقى مربوطا بالنظرية اللسانية الغربية، وهذا ما عني به قادة اللسانيات العرب، ومن بينهم **تمام حسان** الذي يقول: « ...فكّرت في أمر الدراسات العربية القديمة من حيث المنهج لا من حيث التفاصيل وجعلت تفكيري في أمرها مستضيئا بمناهج الدراسات اللغوية الحديثة»[3] .

فعملية نقد التراث ليست عملية سهلة لأنها نتاج لعملية تقويم الدرس العربي، وهذا ما تحسسه **"محمود سعران"**، إذ يرى أن نقد النحو عمل خطير وشاق[4]، ورغم هذه الصعوبة إلاّ أن هناك من جازف ، وقدّم مبادرات تستحق التثمين، حاول من خلالها نقد التراث وإعادة وصف اللغة العربية، بتطبيق المنهج الوصفي على بنيتها لأنها « من اشدّ اللغات حاجة إلى هذا الوصف الجديد، إذ أن نحوها يرجع اليوم إلى ما ينيف عن اثني عشر قرنا ولم يكد يعرف تغييرا جوهريا منذ نشأته »[5] ، أي أن قواعده بحاجة إلى تجديد ما يخدم

---

(1) فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس العربي الحديث، ص 99.
(2) ينظر: فاطمة الهاشمي بكوش ،نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص 100
(3) اللغة بين المعيارية والوصفية، ص 03.
(4) ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص 37.
(5) حافظ إسماعيل علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 229.

العصر والواقع الذي نعيشه حتى نعيد الدارس إلى بوتقة اللغة العربية، وإعادة غرس حب اللغة وقواعدها في قلبه.

وعملية إعادة وصف اللغة ليست عمل رجل واحد، وإنّما هي جهود متكاثفة تحاول إعادة الاعتبار للغة العربية، ومسح الغبار عن تراثنا، وما سنقدمه في الفقرات التالية من جهود لغويين حاولوا التجديد وإعطاء البديل، فهو عبارة عن محاولة لإماطة اللثام عن جديدهم في الدرس اللغوي العربي ،من خلال سرد لأعمال أهم رواد اللسانيات الوصفية في العالم العربي ، الذين بهم بدأت الثورة على التراث اللغوي من أمثال إبراهيم أنيس ، عبد الرحمان أيوب، محمود السعران، كمال بشر، حيث كانت جهودهم من ابرز الجهود وأوفرها إسهاما في صياغة الخطاب اللساني العربي الحديث.

أولا: تجربة إبراهيم أنيس:

قام هذا الباحث بدور بارز منذ البدء في دراسته العربية بمنظار المفاهيم اللسانية الأوربية الوصفية منها والتاريخية، والتركيز على دراسة البنية الصرفية والتركيبية والدلالية للغة العربية، وذلك ما تجلى في مؤلفاته الرائدة: الأصوات اللغوية، ومن أسرار اللغة، وفي اللهجات العربية.

فكتابه **الأصوات اللغوية** (1941- 1946) يعد « أول محاولة عربية لوصف أصوات عربية وصفا جديدا أفاد فيها من جهود القدماء والمحدثين كليهما »[1].أراد من خلاله رفع اللبس عن كثير من المفاهيم والآراء التي أتى بها المتقدمون من علماء اللغة؛ والتي تكرّرت عند المتأخرين دون فهم أو تجديد، كما أراد نشر ثقافة لسانية في أوساط المشتغلين بالدراسات اللغوية [2] ،إذ يقول: « وكتابي هذا وإن كان الأول من نوعه في اللغة العربية لا أدّعي له الكمال في كل نواحيه، وإنما أعده مجهودا متواضعا أبغي به نشر طرف من هذه الثقافة اللغوية بين من يعنون بالبحث اللغوي في مصر »[3]أي أن بكتابه هذا فتح الباب لمن سيأتي بعده من الدارسين ليسهل عليهم مهمة و صف اللغة العربية.

والدكتور **"إبراهيم أنيس"** كان وريث التقليد الإنجليزي الذي ركّز على الدراسات الفونيطيقية للأصوات، رغم أنه كان موفقا في تعريف مجالي علم الأصوات الفونيطيقي

---

(1) فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص 32.

(2) ينظر: المرجع نفسه: ص 32.

(3) الأصوات اللغوية. ط:5.القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية، 1979.ص5.

والفونولوجي غير أنه لم يوفّق في تصنيف كتابه في الدراسة الفونولوجية [1] أي أن إبراهيم أنيس في كتابه درس الأصوات فونيطيقيا وليس فنولوجيا مركزا على الظواهر الصوتية كالجهر والهمس ، و المقطع إلى آخره من الظواهر الصوتية.

أمّا كتابه **"اللهجات العربية"** الصادر سنة 1946 فقد حاول فيه الحديث عن دراسة اللهجات من جهة علمية، فافترض أسسًا علمية تخلصها من الجدل[2]. لكن من الملاحظ أن **إبراهيم أنيس** تردد في محاولته لصعوبة البحث في مجال اللهجات فتجده يقول: « قد يكون من عمل الهيئات العلمية ولا يقوم به فرد وحده»[3] .

وفيه عرض لتعريف اللهجة واللغة والعلاقة بينهما، كماعرض لخصائص اللهجة والعناصر المكونة لها، والعناصر المشتركة بين لغات الفصلية.

و تناول في ظل حديثه عن اللهجات ، الغموض الذي يكتنف تاريخ لغة العرب، فأشار إلى العلاقة القائمة بين القراءات واللهجات، وتحدث عن ظواهر لغوية كثيرة كالترادف والاشتراك والتضاد وعواملها،ثم تحدّث عن اللهجات العربية الحديثة، وركز على لهجة مصر- القاهرة- وخصائصها الصوتية[4].

وبخصوص كتابه **من أسرار اللغة** الصادر سنة 1951،الذي يعد أهم مؤلف عنده، استعرض فيه ظواهر لغوية نعتها بالمشكلات اللغوية[5].

ضمّ كتابه أربعة فصول، مثل كل واحد منها بحثا مستقلا، فقدّم في الفصل الأول لآليات نمو اللغات البشرية من قياس واشتقاق وقلب وإبدال ونحت وارتجال وافتراض.

وفي الفصل الثاني بحث في العلاقة بين اللغة والمنطق ، ليشير إلى تأثر النحو العربي بالمنطق، ثم عرّج على النظرية الحديثة التي ترى أن لكل لغة منطقها الخاص.

والفصل الثالث تحدث فيه عن قصة الإعراب، فتجده يروي كيف أصبح الإعراب أهم ظاهرة في اللغة العربية على الإطلاق، والسبب في رأيه هو غلو النحاة في صناعته، ثم حاول تفسير هذه الظاهرة على أنّها ضرورة صوتية يلجأ إليها المتكلم لتحقيق الوصل بين

---

(1) ينظر: فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس العربي الحديث، ص 34.
(2) ينظر: فاطمة الهاشمي بكوش ، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص 36.
(3) اللهجات العربية، ص 09.
(4) ينظر: فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس العربي الحديث، ص 37.
(5) ينظر: من أسرار اللغة، ط:1، مصر: مكتبة الأنجلو مصرية، 1978، المقدمة.

الكلمات[1] وهنا تجده يستشهد برأي" **قطرب**" (تـ 209 هـ)، الذي يقول: « إنّما أعربت العرب كلامها لأن الاسم في حال الوقف يلزمه السكون فجعلوه في الوصل محرّكا حتى لا يبطئوا في الإدراج وعاقبوا بين الحركة والسكون وجعلوا لكل واحد أليق الأحوال به، ولم يلتزموا حركة لأنهم أرادوا الاتساع »[2] .

وفي الفصل الأخير تحدث عن الجملة، فوصل إلى أنها « أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلا بنفسه، سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر »[3]، ثم تناول أقسام الكلام وانتقد في ذلك تعريفات النحويين بأنها لم تكن جامعة مانعة[4] .

أمّا كتابه **"دلالة الألفاظ"** فنجده يركز على عرض النظريات الدلالية الحديثة سواء المتقاربة أم المتعارضة، فيقرن بينها وبين آراء العرب من فلاسفة ومتكلمين وأصوليين ولغويين، فاعتمد في كتابه بشكل كلي على كتاب **بلوميفيلد** المشهور **باللغة**، فقسم الدلالة إلى صوتية وصرفية ومعجمية واجتماعية.

كانت هذه جملة ما كتب **"إبراهيم أنيس"**، والتي حملت أفكاره الطموحة إلى تغيير الدرس اللغوي العربي، فحاول من خلالها توسيع نظرته لتشمل مسائل شتّى من القضايا اللغوية التي قد نطرح بعضها في الفقرات الموالية والتي كان له فيها رأي مميز في خضم الدراسات اللغوية العربية المعاصرة.

1. أقسام الكلام:

يعتبر **"إبراهيم أنيس"** من أبرز روّاد اللسانيات في العصر الحديث الذين تكلموا عن تقسيم القدماء للكلام، حيث أشار إلى أنهم اضطربوا في تفسير المراد لكل من هذه الأقسام، لأنهم في رأيه اقتدوا بتقسيم فلاسفة اليونان وأهل المنطق، فطعن إبراهيم أنيس في ذلك قائلا:« قنع اللغويون القدماء بذلك التقسيم الثلاثي من اسم، وفعل وحرف متبعين في هذا ما جرى عليه فلاسفة اليونان وأهل المنطق من جعل الأجزاء ثلاثة سمّوها الاسم والكلمة والأداة،ولمّا حاول اللغويون العرب تحديد المقصود من هذه شق الأمر عليهم »[5]،

---

(1) ينظر: المرجع نفسه ،ص220.

(2) الزجاجي: الإيضاح في علل النحو،ت:مازن المبلوك .ط:3.بيروت :دار النفائس،1986، ص 70- 71، نقلا عن: فاطمة الهاشمي بكوش ، نشاة الدرس اللساني العربي الحديث، ص 40

(3) إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ص 276.

(4) ينظر: اللسانيات الحديثة والتفكير اللساني العربي، قراءة وصفية في تجارب لسانية معاصرة، alhdeeth.com -www.ahl، يوم 5 سبتمبر 2009، سا: 9:30.

(5) من أسرار اللغة، ص 279.

وصعوبة التفريق بين هذه الأقسام عند العرب يظهر في تعريفهم لها، فمثلا عند تعريفهم للاسم بأنه ما دلّ على معنى وليس الزمن جزء منه، و هذا لا ينطبق على كل الأسماء كاليوم والليلة والمصدر، إذ اعترفوا باسمية هذه الكلمات، و لا يشك أحد في إشارتها إلى الزمن، وهذا ما جعلهم يبحثون عن تفسيرات تنطبق مع فهمهم للاسم[1] ،أي أنهم حاولوا البحث عن تخريجات لهذه الهفوات حتى لا يحدث تناقض في تعريفاتهم النظرية و تطبيقاتهم ،حتى أن بعضهم لم يستطع الوصول إلى تعريف دقيق لكل قسم، فنجد سيبويه مثلا يكتفي في تعريفه للاسم بالتمثيل له إذ يقول:«الاسم مثل فرس، ورجل »[2] وكذا في تعريفهم للحرفية نجد أنها غامضة في أذهانهم، لأنهم في نظر إبراهيم أنيس «يكادون يجردونها من المعاني وينسبون معناها إلى غيرها من الأسماء والأفعال »[3]؛أي أن الحرف لا معنى له في ذاته و إنما يتخذ معناه من الكلمة التي يقترن بها؛ فمثلا حرف اللام إذا اتصل بالفعل يكون للتعليل أما إذا اتصل بالاسم يكون للملكية وهنا هو حرف جر.

ويرى إبراهيم أنيس في لجوء النحاة إلى قبول الاسم للتنوين وقبول الفعل لقد وسوف كسمات أساسية لهذه الأقسام ،هو خير دليل على شعورهم بنقص التعاريف التي قدّموها[4]

ومن خلال حملته على تقسيم القدماء للكلم حاول اقتراح أسس جديدة، بنى عليها تقسيمه الجديد، فتدارك من خلالها الخلل الذي وقع فيه النحاة القدماء، وهذه الأسس هي: المعنى، والصيغة ووظيفة اللفظ في الكلام[5]،فوصل بذلك إلى« تقسيمه الرباعي لأقسام الكلم على هذه الأسس التي يمكن إرجاعها إلى ثنائية اللغة والمعنى وهو تقسيم يستمده من المحدثين »[6] ؛حيث يرى أن تقسيمهم أدق من تقسيم القدماء، فيقول في ذلك « قد وفق المحدثون إلى إلى تقسيم رباعي أحسب أنه أدق من تقسيم النحاة الأقدمين وقد بنوه على تلك الأسس الثلاثة »[7].

وبهذا استبدل تقسيم القدماء الثلاثي بتقسيم رباعي: أول هذه الأقسام الاسم ويشمل الاسم العام، والعلم والصفة، والقسم الثاني هو الضمير ويشمل الضمائر بمفهومها عند

---

(1) ينظر: عبد المقصود محمد عبد المقصود، دراسة البنية الصرفية في ضوء اللسانيات الوصفية. ص 151- 152.
(2) الكتاب، ت: عبد السلام محمد هارون.ط:1. بيروت: دار الجيل. ج1/ ص 12.
(3) من أسرار اللغة، ص 281
(4) ينظر: حافظ إسماعيل علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة.ص 230.
(5) ينظر: من أسرار اللغة، ص 281
(6) حافظ إسماعيل علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة. ص 231.
(7) من أسرار اللغة. ص282.

القدماء وألفاظ الإشارة والموصولات والعدد[1]، أمّا القسم الثالث فهو الفعل، إذ ركّز أنيس في تعريفه على وظيفة الإسناد التي يؤديها في الجملة، ولم ينف في ذلك ضرورة الاعتماد على العلامات اللفظية التي ذكرها القدماء كدخول قد وغيرها[2] حيث قرر « أن ربط الزمن بصيغة الفعل لا يبرره الاستعمال اللغوي »[3]. والقسم الرابع فشمل الأداة: ويتضمن ما بقي من ألفاظ العربية ومن الحروف بأنواعها والظرف بنوعيه الزماني والمكاني[4].

وبهذا التقسيم الجديد حاول أن يتجاوز قسمة القدماء إلاّ أنّه لم يخرج في إطاره العام عما جاء عند النحاة من جهة، ولم يصرح بأصوله من جهة ثانية[5] ،لكن رغم هذا يبقى تقسيمه ردّا وطعنا على ما جاء به القدماء من قضايا تحتاج إلى تمحيص.

2. نظرية الإعراب والعوامل:

عرض **"إبراهيم أنيس"** لموقفه من نظرية الإعراب في كتابه **"من أسرار اللغة"** تحت عنوان كبير" قصة الإعراب " حيث صرّح بأن دراسته هذه لم تكن لتغيير الأصول ولا المنهج بل كانت مجرد استقصاء عن تاريخ الإعراب ، وملخص رأيه في الحركات الإعرابية أنها ليست ذات مدلول بل إنها« لا تعدو أن تكون حركات يحتاج إليها في كثير من الأحيان لوصل الكلمات بعضها ببعض »[6] ودليله في هذا أننا إذا « قرأنا خبرا صغيرا صغيرا في إحدى الصحف على رجل لم يتصل بالنحو أي نوع من الاتصال، فسترى أنّه يفهم معناه تمام الفهم مهما تعمدنا الخلط في إعراب كلماته، برفع المنصوب ونصب المرفوع أو جره»[7]، فيرى أن المجيء بهذه الحركات إنما هو لغاية صوتية مفادها وصل وصل الكلام بعضه بعضا؛ أي للانتقال التلقائي من كلمة إلى أخرى ، وهذا يعني أن أصل اللغة عنده غير معربة، فالسكون فيهاهو الأصل و يستند في ذلك على حجج منها:

1. أن اللغات الساميات الأخرى لا توجد بها آثار إعرابية كافية.
2. عدم وجود حركات إعرابية في اللهجات المعاصرة [8].

---

(1) ينظر: من أسرار اللغة، ص 289- ، ص 293.
(2) ينظر: حافظ إسماعيل علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 232.
(3) من أسرار اللغة، ص 293.
(4) ينظر: عبد المقصود محمد عبد المقصود، دراسة البنية الصرفية في ضوء اللسانيات الوصفية، ص 153.
(5) ينظر: حافظ إسماعيل علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 232
(6) من أسرار اللغة: ص 237.
(7) من أسرار اللغة.ص237
(8) ينظر: يحي عبابنة وآمنة الزغبي، علم اللغة المعاصرة. ط:بلا. الأردن: دار الكتاب الثقافي، 2005. ص 74- 75.

3. أن في القراءات القرآنية تحذف الحركات الإعرابية في غير الوقف مثلما فعل أحد القراء السبعة ،وهو أبو عمرو بن العلاء.
4. قد تسقط الحركات الإعرابية في الضرورات الشعرية.
5. إن تغيير الحركة الإعرابية لبعض الكلمات من النصب إلى الجر لا يغيّر معناها[1].
6. والإعراب بالحروف كالمثنى والجمع ما هو إلا نطق لهجيّ، نتيجة خلطهم بين لهجات عربية مختلفة، فالإعراب عنده قصة اختلقها النحاة[2].

والذي يحدد الوظائف النحوية عنده كالفاعلية والمفعولية هو « نظام الجملة ورتبة مكوناتها والسياق الذي يحيط بإنشاء الجملة وظروف قولها»[3] ،لكن هذا الافتراض لا يتناسب مع « الأساليب العربية كالتعجب والاستفهام والنفي في نحو" ما أجملَ السماءَ**!**، ما أَجْمَلُ السماءِ ؟ ما أجملَ السماءُ .ومن غير الواضح أن تقوم قرينتان: قرينة الرتبة وقرينة السياق على بيان المعنى »[4].وفي هذا نرى أن إبراهيم أنيس قد غالى بعض الشيء في ما ذهب إليه خاصة و أنه لم يقدر جهود أولئك الذين ضحوا في سبيل العربية و القرآن .

يبدو أن **"أنيس"** في تشكيكه هذا، قد تبنى النظرية الغربية التي تعتمد على الرتبة في تحديد المعنى، لكن بهذا قد ابتعد وتنكر لقوانين اللغة، وحط من قيمة الإعراب التي رفعها العلماء القدماء كابن فارس الذي يقول: « للعرب في ذلك ما ليس لغيرها، فهم يفرقون بالحركات وغيرها بين المعاني يقولون: مِفْتَح للآلة التي تفتح بها،ومَفْتَح لموضع الفتح...»[5]، فكان على **"إبراهيم أنيس"** أن يوفق في النظرة إلى الإعراب؛لأن النظرة العلمية الصائبة تقتضي أن ندعو إلى الاعتدال في التعامل مع قواعد العربية خاصة الإعراب باعتباره ظاهرة لغوية أصيلة ترتبط بالاستعمال اللغوي، نتعامل معه بقدر ما يخدم المعنى ،كما يقول ابن جني:« الألفاظ خدم للمعاني والمخدوم- لا شكّ - أشرف من الخادم »[6]، فالحركات الإعرابية ليست إلا قرينة لفظية من ضمن « قرائن لفظية ومعنوية كثيرة

---

(1) ينظر: حافظ إسماعيل علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة. ص 240.
(2) ينظر: إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة. ص 258.
(3) حافظ إسماعيل علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة. ص 240.
(4) دليلة مزوز، الأحكام النحوية بين النحاة وعلماء الدلالة، رسالة دكتوره، قسم الأدب العربي.بسكرة : جامعة محمد خيضر ، 2008. ص 236.
(5) الصحابي في فقه اللغة، ص 191، نقلا عن المرجع السابق، الصفحة نفسها.
(6) الخصائص، تـ: محمد على النجار. ط: بلا. بيروت: الكتبة العلمية. ج2/ ص 221.

أخرى توازيها أو تفوقها أهمية كالرتبة والأداة والإسناد وقرائن التخصيص والمعنى المعجمي والمنطقي والتقسيمي والتصريفي »[1].

أمّا رأيه في القضايا الأخرى ، فنجده ينقد القدماء تارة، ويقدّم البديل تارة أخرى، ففي قضية الإعلال والإبدال نجده يأخذ على الصرفيين عدم مراعاتهم للنظرية الصوتية وفي هذا يقول:« ومع أن الصرفيين يجمعون على أن الهمزة في كلمة (السماء) أصلية منقلبة عن واو فإنهم لا يفسّرون لنا السبب في قلب الواو هناعن همزة تفسيرا علميا مقنعا له أساس من نظرية صوتية »[2] ، وبديلا لذلك استخدم « المقاطع في دراسة البنية الصرفية ومن طريقها أمكنه التفرقة بين المشتقات والجوامد »[3].

أمارأيه في الصلة بين اللفظ ومعناه فإنه يرى « أنها صلة اصطلاحية عرفية مكتسبة وقد أخذ على العلماء الذين عرض آراءهم في كتابه" **دلالة الألفاظ"** عدم تفرقتهم بين الصلة الطبيعية والصلة المكتسبة»[4]فيقول: « والأمر الذي لم يبد واضحا في علاج كل هؤلاء الباحثين هو وجوب التفرقة بين الصلة الطبيعية والذاتية والصلة المكتسبة ففي كثير من ألفاظ كل لغة نلحظ تلك الصلة بينها وبين دلالتها ولكن هذه الصلة لم تنشأ مع تلك الألفاظ أو تولد بمولدها وإنّما اكتسبتها اكتسابا بمرور الأيام وكثرة التداول والاستعمال »[5].

ثانيا :تجربة عبد الرحمان أيّوب :

يعدّ **"عبد الرحمان أيوب"** من أبرز الباحثين المتأثرين بمدرسة التحليل الشكلي، وهذا متجل في كتابه **"دراسات نقدية في النحو العربي"** 1957، وهو كتاب ألّفه « ليبين أن المهم تغيير النظرية النحوية القديمة لأنها مبنية على قواعد عقلية لا على وصف المادة

---

(1) عبد الجبار توامة، المنهج الوظيفي الجديد، أعمال ندوة تسيير النحو.الجزائر: منشورات المجلس الأعلى للغة، 2001، ص 285.

(2) الأصوات اللغوية. ص 99، 100

(3) عبد المقصود محمد عبد المقصود، دراسة البنية الصرفية في ضوء اللسانيات الوصفية، ص 213.

(4) محمد علي عبد الكريم الرديني، فصول علم اللغة العام، ط: بلا، الجزائر، دار الهدي، ص 212.

(5) دلالة الألفاظ، ط: 2، القاهرة: مكتبة الأنجلو مصرية، 1963، ص 71.

النحوية، بسبب تأثر النحاة بالنحو اللاتيني، ويعيب على القدماء أيضا عدم تفرقتهم بين اللهجات المختلفة ويرى أن الخير في تطبيق أفكار مدرسة التحليل الشكلي »[1].

ومن خلال هذا المؤلف قدم جملة من الانتقادات التي تحسسها أثناء بحثه في اللغة، فمن بين ذلك، نقده للفكر النحوي من خلال نقده للثقافة العربية بوجه عام واصفًا إيّاها بالتقليدية الجزئية[2]

فقد ميّز في كتابه بين نوعين من الدراسة « احدهما يبدأ بالجزء وينتهي منه إلى الكل، وهو ممثل في الدراسة اللغوية التقليدية ،وثانيهما دراسة تصف التركيب اللغوي من دون أن تفصل أجزاء بعضها عن بعض وهي الدراسة اللغوية ممثلة في المدرسة التحليلية »[3] وهو بهذا يضيف نقدا آخرا للتفكير النحوي التقليدي بقوله « وثمة عيب آخر في التفكير النحوي التقليدي، وذلك أنه لا يخلص إلى قاعدته من مادته، بل أنه يبني القاعدة على أساس من اعتبارات عقلية أخرى، ثم يعمد إلى المادة فيفرض عليها القاعدة التي يقول بها، وهذا النوع من التفكير لا يمكن أن يوصف بأنه تفكير علمي بالمعنى الحديث»[4] . فالدراسة التقليدية عنده بمثابة « صنيع من يكوّن الشيء »[5] أمّا الدراسة الحديثة التي تبنّاها فهي بمثابة « صنيع من يصف تكوينه دون أن يتدخل فيه بشيء »[6].

فهو بذلك ينتقد اهتمام النحاة بالمعنى في تصنيف الوحدات ؛فنجده يقول: « ترى المدرسة اللغوية التحليلية أن يكون شكل الكلمة- لامعناها- أساسا لتقسيمها، والتقسيم التحليلي الشكلي للكلمة يشمل دراسة مقاطعها وأجزائها كما يشمل مواضعها بين سواها من الكلمات »[7] ،فمن خلال هذا يعد من أنصار الشكل لا المعنى في دراسته اللغوية.

فقد تضمن كتابه قسمين: سمّى القسم الأول منه الكلمة[8] ،عاب فيه تقسيم القدماء للكلمة للكلمة على أساس الدلالة وهذا لتأثرهم بنظرية أفلاطون في الموجودات[9] ،فاقترح **"أيوب"** **"أيوب"** تقسيما جديدا قائما على تقسيم الكلام إلى معرب ومبني و،هو تقسيم الكلام على

---

(1) خالد بن سليمان بن مهنا الكندي، التعليل النحوي، ط:1، عمان: دار الميسرة، 2007، ص 188.
(2) ينظر: حليمة أحمد عمايرة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء، ص 174.
(3) فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس العربي الحديث، ص 45.
(4) دراسات نقدية في النحو، المقدمة، د، نقلا عن: فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس العربي الحديث، ص 45.
(5) المرجع نفسه، ص 03.
(6) المرجع نفسه، ص 03.
(7) دراسات نقدية في النحو، ص 11، نقلا عن : فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث .ص45
(8) ينظر: فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص 45.
(9) ينظر: حافظ اسماعيل علوي ، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة .ص233.

حسب صحة الحروف أو معتلها؛ لأن هذا برأيه يقوم على واقعية الألفاظ وعلى أمور اعتباطية.([1])

لكن هناك من يرى أن **"عبد الرحمان أيوب"** لم يقترح « تقسيما جديدا للكلم على نحو ما فعله **أنيس** لكنه أشار إشارة إلى الأساس الذي يجب أن يقوم عليه التقسيم ،وهو ما سمّاه النحاة العلامات»[(2)] ،فهي في نظره كافية لإقامة حدود جامعة مانعه بين أجزاء الكلم، و في في هذا يقول: « لما كانت العلامات هي التي تميز بين الأنواع وتحصرها فإنها هي التي يمكن أن يطلق أنها جامعة مانعة»[(3)]، ليكون الأساس الشكلي أساس كل تقسيم عنده.

أمّا القسم الثاني من كتابه فقد خصصه للحديث عن الجملة أو الكلام[(4)] وفيه يقول: « إن إن جميع التأويلات النحوية تفسير لواقع الجملة أي للحدث اللغوي وهي بهذا لا تتصل بعلم النحو الذي هو علم النماذج التركيبية بل بعلم المعاني الذي هو تفسير لمعاني الأحداث اللغوية الواقعية من ناحية والنماذج التركيبية من ناحية أخرى »[(5)]، فيقسم الجملة تبعا لذلك إلى إسنادية وغير إسنادية ،على خلاف تقسيم النحويين إلى فعلية، واسمية.

وبخصوص رأيه في نظرية الإعراب والعوامل فقد طعن في نظرية الإعراب والبناء عند القدماء مستندا على حجتين، تقوم الحجة الأولى على تأثر القدماء بأفلاطون وهو النقد نفسه الذي وجهه لهم في تقسيمهم للكلم،فجعل نظرية الإعراب نظرية تافهة لعدم مطابقتها للواقع اللغوي، واستدل على ذلك بالمضارع المرفوع والمجزوم عند دخول نون التوكيد عليهما، فقد اعتبرهما النحاة معربين إعرابين مختلفين رغم تماثلهما في اللفظ ،وعدم تغيّر أواخرهما رغم تغيّر التراكيب.

أمّا الحجة الثانية فتقوم على تعليل الإعراب بحاجة الكلمة إلى الحالات الإعرابية لتحديد معناها ، والبناء بعدم حاجتها إليها، وهو ما قاد القدماء إلى القول أن الاسم يحتاج إلى العلامات الإعرابية لتحديد معناه كالفاعلية والمفعولية، أمّا الفعل الماضي والأمر والأحرف فهم لا يحتاجون لعلامة إعراب لأن معانيها تتميّز دون الحاجة إليها[(6)].

---

(4) ينظر فاطمة الهاشمي بكوش ، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث.ص 45

(2) حافظ إسماعيل علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 234..

(3) دراسات نقدية في النحو العربي، ص 21، نقلا عن: حافظ إسماعيل علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 234.

(4) ينظر: فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص 46.

(5) دراسة نقدية في النحو العربي، ص44، فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص 46.

(6) ينظر: حافظ إسماعيل علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 242

فهو يدعو إلى ضرورة التمييز بين أربعة أمور هي:

أ- الإعراب، ب- الموقع الإعرابي، ج- الحالة الإعرابية، د- الموقع الإعرابي.[1] وقد جمعهم في ثنائيتين « الإعراب والموقع الإعرابي » يقصد بالأول تغيير أواخر الكلمات بتغيير التراكيب، ويناقضه البناء، فالإعراب أمر ذاتي في الكلمة لا يختلف عنها، أمّا الموقع الإعرابي فهو الوظيفة النحوية كالفاعلية والمفعولية، وهو المعنى الذي نسب للكلمة في سياق معين سواء أكانت معربة أم مبنية، فلكل موقع إعرابي حالته الإعرابية[2].

فالإعراب عنده ليس هو المفرّق الوحيد بين معاني الكلمات،فقد يتحد الإعراب وتختلف المعاني،وقد تختلف المعاني لكنها تلزم إعرابا واحدا، ويكون مرد الأمر في النهاية إلى الإقرار بواقع المسموع عند العرب وهو ما تقوم به المدرسة التحليلية الشكلية [3]،إذ نسجل ظاهرة الإعراب والبناء دون أن نعلل لها، لأنها ظاهرة متغيرة مع الزمن مثلما يحدث للهجات العربية الحديثة من تخليها عن الحركات الإعرابية.

وخلاصة القول إن ما جاء به **عبد الرحمان أيوب**،هي آراء أكثرها محمودة،إلاّ أن هناك من الباحثين من يخالفه في رفضه لعوامل القدماء كونها فلسفية ،وذلك أن التأثير الفلسفي موجود لكنه لا يراه في اختيار العوامل والمعمولات بل في القواعد والأصول التي وضعت لها[4].

ثالثا: تجربة محمود سعران:

يعد هذا الباحث واحدا من العلماء الذين أوقفوا حياتهم على دراسة اللغة، ونشر المعرفة الموضوعية، له أعمال كثيرة منها المنشور وغير المنشور من بينها: **"علم اللغة مقدمة للقارئ العربي"**، دار العربي، الإسكندرية[5] ،إذ وضع محمود السعران هذا الكتاب بين يدي الدارس العربي من أجل تبسيط اللسانيات ومبادئها أمامه، ويظهر موضوع هذا الكتاب من خلال قوله :« وأنا لم ألتزم في جملة ما عرّضت مذهبا بعينه في كل أصوله وفروعه

---

(1) فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس العربي الحديث، ص 45- 46.
(2) ينظر: خالد بن سليمان بن مهنا الكندي، التعليل النحوي في الدرس اللغوي، ص 307.
(3) ينظر: دراسات نقدية في النحو العربي، ص 310، نقلا عن : خالد بن سليمان بن مهنا الكندي، التعليل النحوي في الدرس اللغوي، ص 307.
(4) ينظر: خالد بن سليمان بن مهنا الكندي، التعليل النحوي في الدرس اللغوي، ص 310.
(5) ينظر: اللسانيات الحديثة والتفكير اللساني العربي، www.ahla- lhadeeth.com

من مذاهب الدرس اللغوي المتعددة، بل ركنت إلى التعريف بالأصول العامة التي ارتضيتها والتي قلّ أن يختلف فيها أهل هذا العلم مع بيان مصادرها ومذاهب أصحابها في معظم الأحوال مع الإشارة في الوقت نفسه إلى الآراء المخالفة الصادرة عن مذاهب أخرى حتى يكون القارئ على بينة من المذاهب اللغوية المختلفة وعلى دراية بالفلسفة التي قامت عليها... »[1].

فقد قصد الكاتب تقديم هذا العلم الحديث للقارئ العربي حصرا، لذلك نجده قد وضع له مقدمة طويلة عرض من خلالها مبادئ هذا العلم فيقول: « مهّدت لكتابي هذا بمقدمة طويلة شيئا ما تهيئة لذهن القارئ الشادي لتلقي هذا العلم بأيسر سبيل، وأدنى مجهود »[2] ؛فكان عمل **"السعران"** منصبا على تبسيط الأفكار للدارس العربي في اللسانيات باعتباره علما جديد، وهو بهذا يعتبر ممثلا للجانب النظري لعلم اللغة.

وحين نتأمل بنية الكتاب نجده مقسما على خمسة أبواب،خصص الباب الأول للتعريف باللسانيات وطبيعة الدراسة العلمية للغة ثم قدم لموضوع علم اللغة، وفي تعريفه للغة ركّز على تعريف دي سوسير باعتباره الرائد الأول للسانيات،أمّا الباب الثاني، فعرض فيه للمستوى الصوتي الذي استقل بعلم خاص في اللسانيات هو علم الأصوات اللغوية[3] وهو يمثل في رأيه: «حجر الأساس في أي دراسة لغوية »[4]، فتحدّث في هذا الباب عن الجهود السابقة المأثورة عن اليونان والهنود والعرب في مجال الصوتيات، إلى غاية علم الأصوات الحديث[5].

وفي الباب الثالث عرض للنحو،حيث تحدث في هذا الباب عن طبيعة النحو الوصفي والنحو المقارن، وموضوع كل نوع وتعريفه.

أمّا الباب الرابع فتحدث فيه عن علم الدلالة أو دراسة المعنى ابتداءً من مؤسس علم الدلالة **"ميشال بريل"** إلى المدارس التي أتت بعده [6] ،فتحدث عن المدرسة السلوكية الأمريكية ثم المدرسة الاجتماعية الإنجليزية التي يمثلها **"فيرث"** [7].

---

(1) علم اللغة مقدمة للقارئ، ص 07.
(2) المرجع نفسه.
(3) ينظر: فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص 51.
(4) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص 123.
(5) ينظر: فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس العربي الحديث، ص 51.
(6) ينظر: فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس العربي الحديث، ص 51.
(7) ينظر: عبد النعيم خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، ص 324.

أمّا الباب الأخير فكان قسما متعلقا بتاريخ الدراسات اللسانية من خلال عرض موجز للعصور القديمة الوسطى،وتحدث عن عصر النهضة العلمية حتى عام 1800م، وكذلك عن القرن التاسع عشر، ليختمه بنظرة مستقبلية [1].

فتجربة **"محمود السعران"**، تجربة نظرية ، أسّس من خلالها لأرضية لسانية بسيطة يستطيع الباحث العربي أن يعود إليها أثناء الحاجة إلى فهم اللسانيات . فكان مؤلفه مرجعا أساسيا في تلك الفترة في ظل غياب المراجع اللسانية باللغة العربية، ليكون بذلك قد أنار الطريق أمام الباحث إذ أنه قد وضع أمامه أهم أسس التحليل البنوي للغة .

رابعا: تجربة كمال بشر:

يعد **"كمال بشر"** من بين الباحثين الذين تعرضوا لنقد التراث العربي من خلال كتابه الموسوم «**دراسات في علم اللغة**» الذي صدر عام 1969، وفيه بحث عن التفكير اللغوي عند العرب على ضوء علم اللغة الحديث، فالرجل لم يتوجه بالنقد للتراث بصورة مباشرة بل حاول الكشف عن جوانب من هذا التفكير تتفق وعلم اللغة الحديث[2] ،فأراد أن يؤصل للتراث اللغوي وفق نظريات علم اللغة، وهو بذلك يبحث عن مظاهر الوصفية في جهود اللغويين القدماء ، فأبرز جهودهم في خدمة لغتهم التي هي خدمة لغة القرآن الكريم صيانة لها من التحريف[3].

فأثناء تعرضه لنقد التراث لاحظ أن علماء العربية وقعوا في أخطاء منهجية لا يقرها البحث الحديث، وأهم هذه الأخطاء ما يأتي:

1. عدم التكامل أو فقدان المنهج، الذي يعود حسب رأيه إلى عدم إدراك علماء العرب للعلاقة بين فروع علم اللغة[4] ،وفي هذا يقول: « يبدو أن علماء العربية لم يدركوا تمام الإدراك مدى العلاقة والارتباط بين فروع الدراسات اللغوية أو مسائل اللغة المختلفة في عمومها ومن ثم نراهم ينظرون إلى هذه الفروع أو المسائل كما لو كانت منفصلة بعضها

---

(1) ينظر: اللسانيات الحديثة والتفكير اللساني العربي،www.ahl alhadeth.com
(2) ينظر: عبد المقصود محمد عبد المقصود، دراسة البنية الصرفية في ضوء اللسانيات الوصفية، ص 73.
(3) ينظر: المرجع نفسه، ص 74.
(4) ينظر: عبد النعيم خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، ص 324.

عن بعض لا يضمها إطار عام مشترك يوحي بوحدتها وانتظامها جميعا تحت موضوع رئيسي واحد »[1].

لكن نجده يلتمس لهم العذر، لقلة الإمكانات المتاحة ،فيقرر أن عقد أية مقارنة بين منهج البحث اللغوي عند علماء العربية القدامى ومنهج البحث عند المحدثين أمر يصعب تحديد وجه الحق فيه ؛لعدم تكافؤ الطرفين وما أتيح لكل منهما من علم وثقافة ، ونجده إلى جانب نقده للتراث يثمّن جهد علماء العرب الضخم[2]، لأن عندما نظر إلى التراث أخذ جوه الثقافي و البيئة التي ترعرع فيها بعين الاعتبار.

2. إعمال عامل الزمن: وذلك حين درس العرب لغتهم في فترة زمنية محددة، لم ينظروا فيها قبل هذه الفترة أو بعدها نظرة علمية، ولم يحاولوا الاستفادة من ماضي اللغة والنظر فيها على فترات التاريخ المتعاقبة[3]

كانت هذه جملة الانتقادات التي وجدها **"كمال بشر"**، التي جعلت من التراث درسا معياريا بعيدا عن الوصفية، لكن في ظل حديثه عن هذه الهفوات نجده يشير إلى وجود شيء من الوصفية في التفكير التراثي العربي لكنها وصفية عفوية، لم يقصدها الباحثون العرب[4] لأن هدفهم حماية لغة القرآن الكريم من اللحن، لذا لا يعتبر المنهج الوصفي العفوي المنهج المتبع في الدرس اللغوي العربي.

كما حاول **"كمال بشر"** نقد التراث الصرفي، فنطلق من المنطلق نفسه،عند" **عبد الرحمان أيوب"** في دراسته النقدية، وعند **"تمام حسّان"** في اللغة بين المعيارية و الوصفية، فاتفق معهم في قضية التأثر بالمنطق والفلسفة، وغلبة المعيارية، و فقدان المنهج في الدرس التراثي[5].

كما أن **"لكمال بشر"** بحثا بعنوان **"مفهوم علم الصرف"** حاول أن يلقي فيه الضوء على الصرف العربي، فرسم من خلاله خطوطا عريضة لمنهج جديد لطرحه،يمكن الإفادة منه في التطبيق العملي؛ كالكلام عن همزة التأنيث في نحو صحراء وأصلها المنقلبة عنه،

---

(1) دراسات في علم اللغة –القسم2 .ط:9.مصر :دار المعارف،1986.ص23.
(2) ينظر: عبد المقصود محمد عبد المقصود، دراسة البنية الصرفية في ضوء اللسانيات الوصفية، ص 74.
(3) عبد النعيم خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، ص 327.
(4) ينظر: عبد المقصود محمد عبد المقصود، دراسة البنية الصرفية في ضوء اللسانيات الوصفية، ص 75.
(5) ينظر: عبد المقصود محمد عبد المقصود، دراسة البنية الصرفية في ضوء اللسانيات الوصفية، ص 74

وكأوزان الفعل الثلاثي، وصيغ جمع التكسير باعتبارها موضوعات تناسب متن اللغة لا الصرف[1].

وفي ظل حديثه عن هذا المستوى يشير إلى ضرورة الاعتماد على الدرس الصوتي لأن هناك أبوابا في الصرف التقليدي ، عولجت علاجا خاطئا، ، لا تفيد متعلم اللغة في شيء، بل قد تفيد المتخصص في الوقوف على آثار السلف في هذه المواضيع[2].

و**"كمال بشر"** في تجربته النقدية تتبع منهج المدرسة السياقية، وهذا ما أشرنا إليه سابقا، إذ تناولها من جانب نظري وهذا ما يشبه صنيع **"محمود السعران"**، فدعا إلى تطبيقها في الدرس اللغوي العربي، رغم تطبيقه المحدود لهذه النظرية وذلك من خلال رؤية جديدة يتطلع أن يكون عليها الدرس اللغوي الحديث في مصر والعالم العربي من جانب آخر[3].

ظل بحث **"كمال بشر"**متواترا عند نخبة من الدارسين، اهتموا رأسا بتأصيل النظريات اللسانية، فنجده يركز على **"ابن جني"** و**"السكاكي"** اللذين يعتبرهما خير ممثل لعلماء العربية نظريا وتطبيقيا و منهجيا، لإدراكهما طبيعة العلاقة بين مستويات اللغة، إلا أنه يعيب عليهما بعض الشيء عدم توفيقهما في التطبيق[4].

ويبدو من خلال نقده للتراث العربي أنه لا يميل إلى تطبيق المناهج الحديثة تطبيقا صارما على النحو العربي لاختلاف الأصول والأدوات ولاختلاف السياق الحضاري كله، والأنفع عنده الكشف عن جوانب النظرية اللسانية العربية، لا الادعاء بعدم ارتكاز البحث اللساني على نهج ثابت وواضح، كما يفعل الكثير من الدارسين بتحميلهم النحو مالا يطيق من المناهج الغربية ، التي إذا لم تستسغها اللغة العربية يتهمونها بعدم مواكبتها للعصر.

كانت هذه أهم التجارب اللسانية الرائدة في العالم العربي ،التي فتحت الباب أمام الدّارسين من خلال ما اقترحته من أفكار جديدة وبديلة في ظل إعادة وصف اللغة العربية، فكانت محاولات جديرة بالاهتمام لاختلاف نظرها، إذ منهم من نظّر وسهّل الطريق، ومنهم

---

(1) ينظر: المرجع نفسه، ص 221.
(2) ينظر: المرجع نفسه، ص 211.
(3) عبد النعيم خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، ص 230- 231.
(4) كمال بشر، دراسات في علم اللغة، ص 46.

من نقد وابتعد في نقده، ومنهم من نقد والتمس الأعذار، لتبقى هذه هي جهود المرحلة الأولى لبداية النقد وإعادة النظر في قواعد اللغة العربية.